

مجلة الخريدة

العدد 1 - شهر جانفي 2016

مجلة إلكترونية - تصدر كل شهرين تُعنى بالأدب، والفكر، والثقافة

18 ديسمبر: اليوم العالمي للغة العربية
عبد المومن تلايلف

شهر
الشمس

رؤوف بن الجودي

مهمة المثقف

المقالات

هدى الطرابلسي

حب حتى الجنون

القصة والرواية

عمر خزار

روح النشيد

القصائد

محمد بلكيف

إعجاز القرآن

نظرة في كتاب إعجاز القرآن
والبلاغة النبوية للرافعي
من التراث

الشاعر «عبد الوهاب بوشنة»

حوار مع
مبدع

كتبت عن «القضية الفلسطينية»
وعن معاناتنا بعد الربيع العربي المشؤوم الذي
كان خريفا بكل ما تحمله الكلمة من
معنى، كما كتبت عن معاناة إخواننا في
«سوريا» و«بورما» و«العراق» وكل بلاد
الإسلام المضطهدة...

نلتقي للترقي؛ ونجتهد لننفع وننتفع

مجلة الخريدة

العدد 1 - شهر جانفي 2016



رئيس التحرير / رؤوف بن الجودي

نائب رئيس التحرير / عمر خزار

هيئة التحرير /

رمضان بوتكانو

رحمة بن مدبرل

عبد المومن تلايلف

المراقبة العامة /

الفضيل بلعروسي

محمد بلكيف

عمر بوشنة

تصميم / رؤوف بن الجودي

للمشاركة في مجلة الخريدة

أرسلوا نصوصكم عبر البريد الإلكتروني
للمجلة :

majalat.alkharida@gmail.com

أو عبر صفحتها على (Facebook) :

majala.kharida

جميع الحقوق محفوظة لأصحابها

حوار مع
مبدع

ضيف العدد

الشاعر عبد الوهاب بوشنة

ص (5)

الافتتاحية (3)

حوار مع مبدع (5)

القصائد

مهمّة الملقف (11)

اللغة وسحر الشعر (13)

«الطاهر وطّار» ورحلة العودة إلى الله (15)

القصائد

هذيان عاشق صوفي (20)

قلّة الأوجاع (21)

باريس تتحب (22)

روح الشيد (23)

من غير إعجاب ولا تعليق (24)

جلالة الجندي (24)

مناجاة عاشقين في محراب الشعر (25)

رحل ولم يند (27)

القصة والرواية

حبّ حتى الجنون (29)

ابن الإنسانية (30)

قضبان القلب (32)

ليلة القط (33)

حدث هذا الشهر

اليوم العالمي للغة العربية (37)

من التراث

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية عند الرافي (36)

افتتاحية

الحمد لله على نعمة البيان، **وصلّى الله وسلّم على أحسن من نطق بالضاد**، منضودا في
جوامع كلمه كالجواهر الحسنان.. أمّا بعد:

ها قد تمّ الوعد

لقد اجتمعت كوكبة من زبدة المثقفين، والأدباء، والشعراء في هذا
الفضاء، تحت سقف مجلة واحدة، اتخذت من «**الخريدة**»⁽¹⁾ اسماً لها، لما يحمل في
تجاويفه من عقيدة حبّ الجمال، والوله بالإنسان؛ كل ذلك بهدف السعي الحثيث
لتجديد ميادين الأدب، والفكر، والفنّ عموماً...

لقد تمّ تحديد رؤية المجلة على هذا الأساس المتين، ليكون لنا أدب راق،
وفكر مستنير، وفنّ رفيع؛ كما تمّ رسم المسار بالاعتماد على الكفاءات
المتفرّسة، أصحاب الأقلام السيّالة، والأذهان المتدفقة، والمادة الكثيفة،
والأساليب الأخاذة.. دون إغفال للمواهب الواعدة التي تشقّ طريقها نحو النجاح.

فها هنا أساتذة ينصحون، ونقاد يقيمون النصّ ويقومون؛ وبعد هذا
للناشئ منهم في النشرات - التي في طيات المجلة - القدوة الحسنة التي تكون له
الدليل الحي الذي سيضيء له بُنيات الطريق...

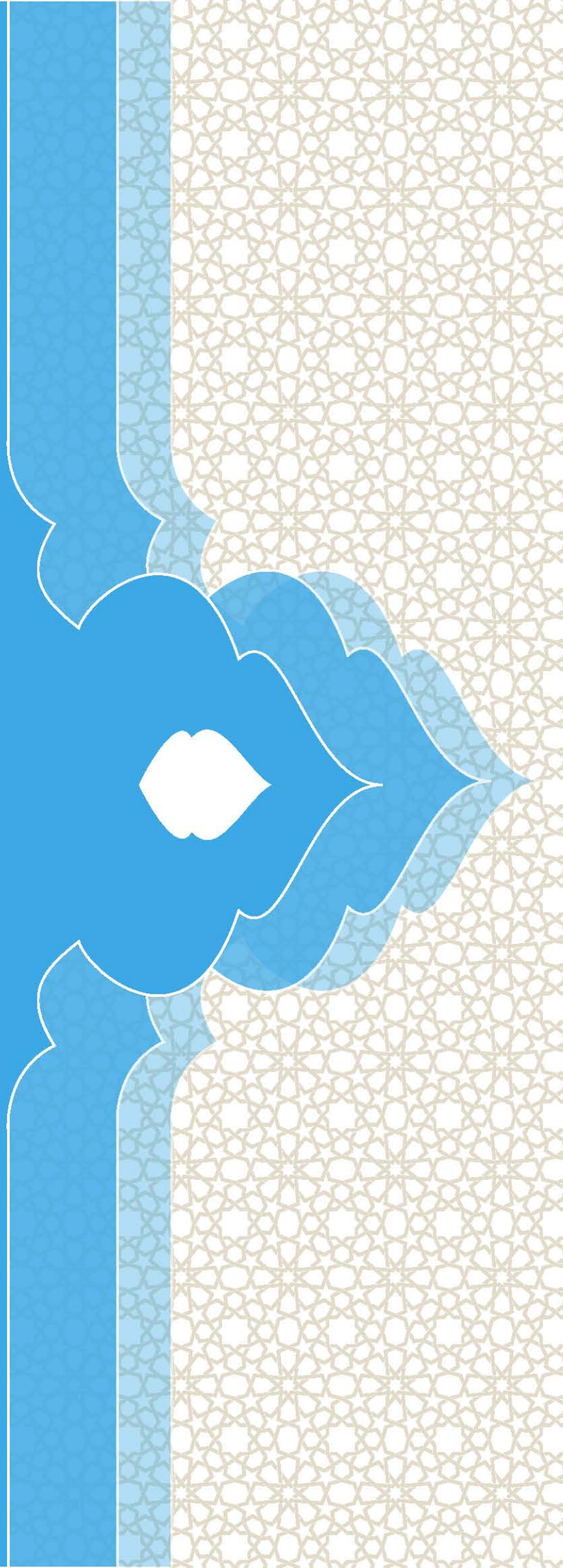
إن «**الخريدة**» ملاذ كلّ مبدع، ولن تكون حكرًا على أقلام مُعيّنة دون
غيرها؛ لهذا إن وجدتم للأركان المثبتة ثلّة تداوم على تحرير مادّتها، فها هنا
-أيضاً- مساحات أخرى غير محدودة لنشر نتاج القلم، وغصارة الفكر، ومولود
الفنّ.

مجلة الخريدة

فشعارنا «**نجتمع؛ لننفع وننتفع**»!

(1) **الخريدة**: اللؤلؤة التي لم تثقب، والمرأة العذراء التي لم تُمس.

حوار مع عبد



ج — أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم في رياض الشعر وروايه الواسعة، فالضاد مجلسنا والحرف أنيسنا..

س - بدايةً، وكطقس تعريفي أولي يربط بينك وبين جمهور قرائك، هلاً أعطينا نبذة عن عبد الوهاب بوشنة الشاعر والإنسان؟

ج — عبد الوهاب بوشنة «الإنسان» هو كيان بسيط من روح تمارس البساطة إلى أقصى درجاتها وأبعد حدودها، أما عن عبد الوهاب بوشنة «الشاعر» فهو ذلك الكيان الذي يتطلع إلى المجد، فما يجزم بأنه أدركه حتى يستشعر أنه دونه بأُميال... ويتأكد هذا في قولي:

مهما شعرتُ بأنَّ حلمي ينتهي
يبقى طموحي من نجاحي أكبر

وأما عن عبد الوهاب بوشنة «الإنسان الشاعر» فهو مزيجٌ هذين الكيانين اللذين لا غنى لأحدهما عن الآخر.

س - هكذا يكون المبدع دائماً يطمحُ إلى المزيد. بوذي أن أعرف كيف كانت بداياتك الأولى مع القصيدة؟

وفي أي سن كان ذلك بالضبط؟
و هل تحيطك

عبد الوهاب بوشنة من مواليد 07 أكتوبر 1992م في مدينة أولف بولاية أدرار، حافظ لكتاب الله تعالى، متحصل على شهادة البكالوريا تخصص رياضيات، وهو الآن طالب بالجامعة الإفريقية. لا يزال ينهل العلم ويحصله بشغف.

هو شاعر مبدع يرسم بالكلمات لوحاته المبهرة بريشة الشعر العمودي، وفقاً لمدرسة الشعر التكعيبي (نسبة إلى كعب بن زهير رضي الله عنه) التي تمثل منارة الشعر الراقي الملتزم في بلادنا.

قصائده يجللها جلاباب الإيمان، إذ يتبدى نوره بين فواصلها ومقاطعها بين آن وآخر، وتعتمد على فنتة التصوير، وتتغنى بالوطن، بالجمال، بالحب، بالوجدان، إلا أن القاسم المشترك بين كل ذلك هو سحر الكلمة وقوة التعبير وأصالة الفكرة.

حصل على المرتبة الأولى في «الملتقى الوطني الأول لشعر الشباب» الذي احتضنته مدينة مستغانم الساحلية عن قصيدته «تجليات متيم ثورية». لم يمنعه تخصصه العلمي كطالب في الهندسة المدنية، من إبداء ميله الأدبي الذي كان غالباً عليه وسكن وجدانه وروحه.

للتعرف على الشاعر عبد الوهاب بوشنة، والغوص في أغواره، ومعرفة بداياته الشعرية، كان لنا معه هذا الحوار الشائق...

س - بدايةً نرحب بك أستاذ عبد الوهاب على صفحات مجلتنا «الخريدة»، ونغتنم الفرصة لنهنئك بفوزك بالمرتبة الأولى في «الملتقى الوطني الأول لشعر الشباب» عن قصيدتك «تجليات متيم ثورية».



ج — يُخطئ الشاعر خطأ شنيعاً، إن ظنَّ أنَّه على درايةً بلحظة ولادته الحقيقية كشاعر، ولكنه في الوقت

نفسه قد يكون مصيباً عندما يستطيع حصر ميلاد حُرُوفه الهامسة التي تتفجّر عند الأزمات النفسية. لقد كان للمحيط الأسري والتعليمي، وخاصةً جو المدرسة القرآنية، دور كبير في تفجير موهبتي، حيث إني ختمت القرآن على يد الشيخ «قدي مبارك» يوم كنت في السنة الرابعة متوسط، غير أن ميولي الأدبية برزت ابتداءً من المرحلة الابتدائية، حيث كان

معلمي يحفزني على كتابة الخواطر وحفظ الأشعار وقراءتها في المناسبات الوطنية كيوم العلم مثلاً. وقد كنت أكتب ما يُشبه القصائد العمودية في مرحلة الثانوية مع كسور كثيرة في العروض.. أما فيما يتعلّق بأول قصيدة موزونة سليمة من الكسور، فقد كانت تماماً بعد صدمة إخفاقي في إجتياز السنة الأولى للجامعة بمعهد الصيانة والأمن الصناعي، أين هجوت فيها نظام أل.أم.دي، وصبيت جام غضبي على الطرق المتتهجة فيه، ومن يومها وأنا أكتب الشعر بدون تكلف، وبكل أريحية!

س - هذا صحيح فالصدمات والأوجاع الداخلية كثيراً ما تقدح بدواخلنا الرغبة في البوح على كنف القصيدة، وأجمل الشعر ما صدر من قريحة عفوية بلا تصنع، أليس كذلك؟

ج — بلى أختي الكريمة، أضيفي إلى ذلك أنني أملكُ حافظَةً عجيبةً، لأنه من المعروف أنَّ الشاعر يولد شاعراً، ولكنه لا يستطيع نظم الشعر إلا بحفظ أشعار المتقدمين والمتأخرين، ثم نسيانها لكي لا يقع الشاعر في فخ التقليد. ثم إن المطالعة لوحدها لا تثير المخزون اللغوي، فالشعر حالة اغتراب عجيبة، ومزيج من الخيال والإحساس وتجارب الآخرين.

س . نعلم أنَّ لكل شاعر طقوسه عند توليد القصيدة، فما هي مصادر الإلهام لديك؟

ج — قد يظنُّ الكثير من القراء أن للشاعر جواً

خاصاً يدخله إذا أراد الكتابة، ولكن الأمر على عكس ذلك، فالشاعر المطبوع والحقيقي تكتبه القصيدة وتغلي عليه شروطها مع عدم إغفال تكيّفها مع ثقافته، وذلك بهدف إبراز مدى تمكنه وقدرته على إيصال أفكاره إلى غيره، فما ينبع من القلب يلامس قلوب الآخرين مباشرةً.

”الشاعر المطبوع والحقيقي تكتبه القصيدة وتملي عليه شروطها مع عدم إغفال تكيّفها مع ثقافته، وذلك بهدف إبراز مدى تمكنه وقدرته على إيصال أفكاره إلى غيره، فما ينبع من القلب يلامس قلوب الآخرين مباشرةً“

أمّا عن مصادري فهي كثيرة، كالمطالعة، الخيال الشعري، الإضاءات القرآنية، التجارب الشخصية، مشاكل الآخرين، التدبر في ملكوت الله.. فكلما طرق الشاعر باباً من هذه المصادر فإنَّ جزءاً من شعره -إن لم يكن كله- سيقى خالداً.. لأن الشعر ليس وليد اللحظة فقط، بل هو حوصلة دروس نستلهمها من الحياة على صفحات الدهر.

س - هل لعبد الوهاب أوقات محببة لمرأودة الشعر عن نفسه؟ ومتى تجد نفسك غارقاً في تدبّج القصيدة بلا توقّف؟ وما المواضيع التي تجذبك أكثر لتؤثرها بالكتابة دون غيرها؟

ج — والله ليس لي وقت معين أحبه دون آخر، ولكن يمكن القول إنَّ هنالك حالتين أجد نفسي فيها غارقاً في قرض الشعر:

الأولى حالة الحزن الشديد، لأن الحزن يولد ضغطاً نفسياً كبيراً لا أفرغه إلا بمعية الحروف، أفضفض لها وتفضفض لي عن مكنوناتنا فأرتاح من الوجد.

أما الثانية فهي الحالة المواتية للانفعال، سواء أكانت فرحاً أم غضباً أم عتاباً للنفس أم تساؤلاً.. وحين أدخل في «حالة الاغتراب» سأبدو كرجل حديث عهد بمصيبة. وفي هذا المقام لعلّي أذكرُ بيتاً للشاعر «أحمد بخيت» يقول فيه:

أصغي إلى صمت الشهيد يقول لي

أن الكتابة حالة استشهاد

س - نعم! خلجات النفس وانفعالاتها تملي علينا الكثير في الكتابة والإلهام، دام إيقاع نبضك

شعريا. وفي هذا السياق، اطلعت على عدة نصوص لك، أين لآخ لي فيها حرصك على اللغة والنسق المعنوي، فمن أي منهل تغترف هذه اللغة الجزلة؟ ولمن تقرأ في العادة؟

ج — ترجع قوة اللفظ عندي بسبب تأثري بالقرآن الكريم، فقصائدي يغلب عليها كثيرا طابع الاقتباسات القرآنية التي تأتي طواعية ودون تكلف، إضافة إلى تأثري بالشعر الجاهلي. أمّا عن الشعراء الذين تأثرت بهم فلا حصر لهم، وعلى رأسهم مالمع الدنيا وشاغل الناس «أبو الطيّب المتنبي» الذي ما من شاعر يبلغ مرتقى عاليا في عالم القصيد إلا وله في عنقه منة!

والشعراء أكبر من أن يُحصوا، ولكنني أقرأ كثيرا لـ«أبي تمام» و«أبي العلاء المعري» وأغلب شعراء الجاهلية. أما عن الشعراء المحدثين فأقرأ لـ«أحمد شوقي»، و«حافظ إبراهيم»، و«أحمد مطر» و«الجواهري»، و«عمر أبو ريشة»، و«بشارة الخوري»، و«إيليا أبو ماضي»، و«أبي القاسم الشابي»، و«مفدي زكريا»، و«عبد الرزاق عبد الواحد».

أما عن الشعراء الحاليين الذين تأثرت بهم، فأذكر اثنين لا أفضل عليهما أحدا: «أحمد بخت» و«وليد الصراف».

س - هل جربت الشاعر عبد الوهاب ضر و بيا

أخرى للكتابة؟

ج — جربت الكتابة في غير الشعر العمودي مرتين فقط! وهذا الذي يحصل معي تجديده عند أغلب شعراء الصحراء والبادية، لأنهم يتأثرون كثيرا بطبيعتهم التي تشبه ما كان عليه أسلافهم، فتراهم قليلا ما يتعدون عن القصيدة وعروضها، ويجدون في ذلك متعة أيما متعة، ولكن حب العمودي طغى على كياني ولا أنكر أنه يمكنني أن أكتب مستقبلا في غيره.

س - بعض النقاد يرون أن قصيدة النثر هي سقف الإبداع، بينما يعتبرها آخرون فارغة من المضمون والشكل، ما رأيكم في ذلك؟

ج — أصلا يجب أن نتفق على شيء في هذه النقطة الحساسة، فإذا كان النثر له ما يجعله قائما بذاته من أساليب وطرق وأغراض، فكذلك الشعر هو فن قائم بذاته، يقوم على أغراض وأساليب وصور وعروض إلى غير ذلك.. ثم إنه إذا كان النثر يؤدي وظائف يوصل بها انفعالات عدة، كالنقد والعتاب والسخرية والفرح والحزن.. فإن الشعر يكون أرقى مرتبة منه باعتباره أكفأ الكلام، فإذا كان النثر يجعلك تتشي، فعلى الشعر أن يصنع بك أضغاث ذك!

وإذا كان النثر يصلح للنصح والعتاب والثناء، فإن الشعر يوصل تلك الانفعالات إلى ذهن المتلقي أكثر منه. ومن جهة أخرى، إذا كان للشعر موسيقى داخلية تجعله يتميز بها عن غيره من الكلام، وصور في قالب موزون تجعل حفظ الأمثلة والاستشهادات أسهل، فكيف يمكننا أن نجعله والنثر في صنف واحد؟!

ثم لماذا يتسابق العلماء في نظم المتون العلمية على شكل قصائد وأراجيز؟ كل هذا يوضح شيئا واحدا هو أن الشعر سهل الحفظ والاستذكار، لو قلت لك:

قطعت جهيزة قول كل خطيب

....

قد يقول لي إنسان لا يعرف الشعر إنه مثل سائر؛ في حين أنه شطر لبيت من البحر الكامل، وإلا لما ذاع صيته وسهل حفظه، وكل ذلك بسبب موسيقاه السلسة!

إذن، ما يُطلق عليه «قصيدة النثر» لا يمكن قبوله في المنطق الأدبي، لأن القصيدة قائمة بذاتها فكيف يمكن للنثر أن يجتمع معها، وإن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا.

والتاريخ مليء بالأدلة القاطعة عن الكم الهائل الذي فشل في إرساء ثقافة ما يسمى بـ«قصيدة النثر» المغلوطة، بسبب أن الشعر لا يُزاحمه شيء في التوثيق لمآثر العرب وبطولاتهم، وإلا لما كانوا سموه «ديوان العرب».

س - إذا عرجنا على الأحداث الراهنة، والاضطرابات التي يمر بها العالم العربي والإسلامي عامة من فوضى وفتن.. ما نصيب هذه التذاعيات كلها من شعرك؟

ج - لهذه القضايا من شعري الخطّ الوافر، فقد كتبت عن «القضية الفلسطينية» وعن معانات دولنا العربية بعد الربيع العربي المشؤوم الذي كان خريفا بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وقد كتبت عن معاناة إخواننا في «سورية» و«بورما» و«العراق» وكل بلاد الإسلام المضطهدة.. كما أنني كتبت في الوجدانيات بغزارة في بداياتي، والشاعر الذي لا يتبنى قضايا أمته ولا يتكلم عن مآسيها ولا ينطق بأوجاعها؛ فشعره مردود عليه!

س - جميل أن يكون الشاعر مُلِمًا بقضايا أمته ومنافحا عنها، ولأننا نتحدث عن إنتاجك الأدبي، فإن كل شاعر ومبدع ينتظر بفارغ الصبر باكورة أعماله، فمتى يطل علينا مولودك الشعري على الساحة الأدبية الجزائرية؟ وماذا سيكون عنوانه؟

ج - سيطل عليكم ديواني الأول قريبا لو سارت الأمور على أحسن ما يرام، رغم أنني ما زلت لم أفكر في عنوان مناسب له، ومتى كان ذلك فسيكون لكم نصيب منه.

س - بحديثنا عن ديوانك المرتقب وعن موضوع النشر، كيف ترى فرص جيلك من الشبان في طبع ونشر كتاباتهم هنا بالجزائر؟

ج - لا أكتمك أي أجد فرصة جيلنا في النشر ضئيلة ونزيرة، بالنظر إلى الكم والنوع الموجودين في بني جيلي من المبدعين، الذين أرى فيهم حماة للكلمة الراقية والرسالة الهادفة، وهذا بشهادة كبار الشعراء.. ومناط التخلص من هذه المشكلة، هو تكثيف جهود الإعلام لإخراج تلك المواهب من أحوال التهميش.

س - في الأخير، أريد معرفة رأيك في التجربة الشعرية لدى الجيل الجديد من الشباب المبدع في الساحة الأدبية الجزائرية؟

ج - عن تجربة الشعراء الشباب أستطيع أن أجيئك بكل ثقة، أن هناك فرسانا حقيقيين للكلمة الهادفة والهامسة التي تلامس قلوب المتذوقين والنقاد، وأذكر لك كوكبة مؤثرة منهم: «مصعب بلهادف»، «أحمد بوفححة»، «أسامة رزايقية»، «رشيد دهمون»، «محمد بوثران»، «أنور بومدين»، «جمال الدين الواحدي»، «أحمد ضياء الحق سنيّة»، «صبيحة قسامة»، «هارون عمري»، «وليد بوخزة»، «عادل سواليمة»، والكثير الكثير من المبدعين.

”كتبت عن «القضية الفلسطينية» وعن معاناتنا بعد الربيع العربي المشؤوم الذي كان خريفا بكل ما تحمل الكلمة من معنى وقد كتبت عن معاناة إخواننا في «سوريا» و«بورما» و«العراق» وكل بلاد الإسلام...“

س - كلمة أخيرة..

ج - في الأخير يطيب لي أن أشكر شيوخ الأوائل الذين حفزوني على المضي قُدُما في عالم الشعر، وهم: عمر بوشنة، والأستاذ عادل حميد، والأستاذ الناقد رؤوف بن الجودي، وعندليب الشعر أحمد العماري... وتحية كبيرة لرواد المدرسة الكعبية، وعلى رأسهم مؤسسها الشاعر الأستاذ محمد جربوعة، والشاعر الإمام رمضان بونكانو.



مجلة الخريدة

«المطالعة هي الطريقة المثلى (بل الوحيدة) التي يكتشف بواسطتها القارئ ما عند غيره من معلومات في شتى ضروب المعرفة، لأنَّ الكاتب -أي كاتب- إذا تأهَّب للتأليف، وتربَّع للكتابة، فإنَّه يضع عُصارة فكره، وخلاصة أدبه وعلمه بين دفتي سيفره».

[مقالة «الثقافة والمطالعة» - رؤوف بن الجودي]



المقالات



المقالات



مهمة المثقف

رؤوف بن الجودي

داخلية، وجد المثقف نفسه بين المطرقة والسندان، يحمل في فكره أجساما غريبة، دخلت عليه عن طريق العولمة (وعبر طرق أخرى كالتعليم، والسفر... إلخ)، يمنعه شعوره بالدونية إتجاه ثقافته، ولغته، ودينه، من القيام بدوره الأساسي في صناعة الوعي، وتوجيه الفكر.

• دور المثقف في صناعة وعي الأمة

إن ثقافة الأمة بمثابة الحمض النووي (ADN) في جسم الإنسان، فكما أن هذا الحمض هو المسؤول عن تمييز كائن بشري عن كائن آخر، فإن الثقافة -أيضا- هي ما تميز أمة عن أمة أخرى.

ويكفي أن نعرف أن الثقافة في جوهرها هي «مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرسائل أولي في الوسط الذي وُلد فيه. وعلى هذا هي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طبيعته».

«الثقافة من هذا الجانب (الجانب النفسي / الاجتماعي) هي شخصية الأمة التي تتجلى في نمط معيشتها، وفي شكل مواقفها وقراراتها، وفي القيم والمبادئ التي توجه الأخلاق، وفي مقدار الوعي الذي يوجه الأفكار»

لقد بات جليا اليوم، أن الطرق السلوكية للنهوض بالأمة الإسلامية من براثن التخلف، ومزالق الانحطاط، هي طرق عقيمة لم تبين على قاعدة شاملة، ولا على تصور سليم للمشكلة. وبعد مضي ربع قرن من الزمان، لم نر فسيلة تنميه تبرعم، ولا بصيص أمل ينتشر بل كل ما هو موجود: دول غارقة في المشكلات، تتجرع هزائم تكسدت راسبها عبر عقود من الزمن.. ودول أخرى جرفت فورا خاطنة كاذبة، تحت شعار مضرب «الربيع العربي».. هذه الهبة التي جلبت على الأمة الفقر، والفوضى، والفتن، ليغرق المغرب العربي والشرق الأوسط في حمامات دم تحت نظر وسمع أمريكا (عليها من الله ما تستحق)، ودول الناتو (قطع الله أيديهم جميعا)!

اختلفت القراءات لهذه الأزمة إلى درجة أفضت إلى النقيض الخالص، فمن المحللين من يقول بنظرية المؤامرة، مغفلا البحث في المسببات، ومنهم من يفسر المشكلة من منطلق «براغماتي» بحث، ومنهم من يبحث المسألة حسب هواه، فيطلق تبريرات واهية للسياسات الإمبريالية المنتهجة بدافع المحافظة على الأمن (أو ما يطلق عليه المفكر مالك بن نبي مصطلح «سياسة الأبوية»)⁽¹⁾. فتحت ظل هذه الصراعات الخارجية وأخرى

وشخصيته»⁽²⁾؛ لنستطيع القول -عندئذ- أنها من الجانب النفسي / الاجتماعي شخصية الأمة التي تتجلى في سلوكها ومواقفها وقراراتها، وفي قيمها التي توجه



رؤوف بن الجودي

الأخلاق، وفي مقدار وعيها بما يجري حولها من أحداث. فصناعة الوعي عملية تنشأ من ترسب خبرات متكررة تُكَلَّلُ بالظفر أو بالخيفة. وعند الثانية (أي الخيفة)، تتطوّر عملية البحث عن حلول جديدة لإحتواء هذه الانتكاسة، فتتكوّن في أول الأمر صورة عامة عن المشكلة، تتجسّد حلولاً ساذجة غير فعّالة (أو لنقل حلولاً لا تمسّ جوهر المشكلة)، وقد تتطوّر -مع الخبرة- لتصبح أكثر نضجاً وفعالية.

فأول السبيل للوصول إلى حلّ ناضج، أن تُلاحظ المسببات التي ولدت المشكلة، ثمّ تحليلها تحليلًا موضوعيًا/منطقيًا يستند إلى الحقائق لا الفرضيات، ثمّ وضع خطة مُنَهَجَة تعمل كمنقذ للخروج من الأزمة الراهنة، ثمّ تحديد الزمن المطلوب لتطبيق الخطة وفق المنهج المُسَطَّر، وفي الأخير الحرص على ديمومة المشروع لضمان عدم وقوع نفس الأخطاء.

ومن المؤكّد أنّه ستشارك في هذه المراحل الخمس جميع الشرائح الفاعلة في هذا المجتمع: ابتداءً من العامل البسيط، وصولاً إلى صاحب القرار، كلّ ذلك تحت إشراف أهل الإستشراف، الذين يرسمون الخطوط العريضة لمشاريع التنمية الضخمة البعيدة المدى⁽³⁾.

إذا شَبَّهنا هذا المثقّف/المفكر بالمهنيّ العمراني (Aménageur) وهو الشخص الذي يضع تصوّرًا شاملاً لشكل المدينة وهيئتها، من مباني وشوارع، ومرافق... فيستعين -لا محالة- بالجيوولوجي الذي يدرس طبيعة التراب، وبالسيسمولوجي الذي يشير عليه بتفادي البناء على المناطق الزلزالية، وإلى الطبغرافي الذي يرفع له في مخطط شكل الأرضية المزعم البناء عليها، وإلى المهندس المعماري الذي سيصمّم له ملامح العمارات، وإلى المهندس المدني الذي سيستشير في المقادير المُستخدمة في البناء (كالإسمنت، والحديد وكميّات الرمل المناسبة... إلخ).

وبنفس الطريقة يصنع المُفكّر مع شرائح المجتمع المختلفة، وذلك حين يضع مشروعاً ضخماً للنهوض بالأمة من وحل التخلف إلى الرقي والازدهار، والانتقال بها من حياة الانحطاط إلى السمو والتطوّر.

• دوره في توجيه الذوق العام

لقد تنكّأ المثقّف منذ عقود عن القيام بدوره الفعّال في توجيه الذوق العام، حتى فقدت الأمة قدرتها على تذوّق

الجمال، ومعرفة الفنّ الهابط من الفنّ الرفيع، فكانت فرصة سائحة كي تنتشر الفوضى الخلّاقة في الميادين الثقافية والأدبية. فدخل على هذه الميادين من ليسوا لها أهلاً، فكثّر الدُخلاء في كلّ فنٍّ؛ لدرجة أصبح المُبدع الحقيقي يستحي أن يُذكر اسمه مقروناً باسم الفنّ الذي يُزاوئه!

فهذا التقاعس كان من بين الأسباب التي دفعت بالجيل الجديد للإعتراض عن كلّ موروث ثقافيّ، واستبداله بالبضائع الثقافية الغربية التي دخلت بيوتات المسلمين عن طريق الفضائيات، والإنترنت... فمسخت الطبايع، وغيّرت النفوس، وطمست القيم، وألحقت فكر الأمة المؤمن بالفكر الغربي الملحد!

كما أنّ هذه التبعية جلبت علينا آثاراً وخيمة، جعلت النشء يبنّد لغته «العربية»، ويُعادي دينه «الإسلام»؛ ولم يكن حدوث هذا السقوط في لجج الضياع الغريب على أصحاب استقراء الأوضاع الاجتماعية؛ لأنّ معروف لديهم أنّ «الطبيعة تأبى الفراغ»⁽⁴⁾.

هذه التبعية قد جلبت علينا آثاراً وخيمة، جعلت النشء يبنّد لغته «العربية»، ويُعادي دينه «الإسلام»؛ ولم يكن حدوث هذا السقوط في لجج الضياع الغريب على أصحاب استقراء الأوضاع الاجتماعية؛ لأنّ معروف لديهم أنّ «الطبيعة تأبى الفراغ»⁽⁴⁾.

• خلاصة

بات واجباً على كلّ مثقّف واعٍ، أن يسترجع مكانته في المجتمع، بمسح الغبار عن وجه الثقافة المهذّدة بالزوال، لسبب ظاهر هو أنّ أعداءها كثر، وحامّيها قلة، وأبناءها في غفلة من أمرهم، يجهلون جهلاً تامّاً ما يُحاك ضدهم⁽⁴⁾، فإذا لم تقم هذه الصحوة الثقافية الفكرية الأدبية على يد المثقفين؛ فعلى أيدي من ستقوم؟! [إه-].

(1) كتلك السياسات التعسفية التي تطلق مثل هذه التبريرات كقولهم: القضاء على الإرهاب الدولي، وحملة نزع السلاح، وحضر أسلحة الدمار الشامل!

(2) مالك بن نبي. «شروط النهضة». ص 83.

(3) أما التفاصيل في رسمها أهل الاختصاص، فالعبارة يُصممها المهندس المعماري، والسيارة يصمّمها المهندس الميكانيكي، والخزانة يصنعها النجار... وهلمّ جرّاً. وسيأتي مثال الذي ذكرناه.

(4) لقد قطع الأعداء أشواطاً كبيرة في تلك المشاريع الماكرة التي هدفها الهدم والردم!

اللغة وسحر الشعر

لبنى خشة

والذات والحلم وغيرها من المفاهيم^(١).

ولأنّ الشعر حافظ على الإحساس بالجمال، فغالبا ما يتبادر إلى أذهاننا أسئلة من قبيل: كيف تتولد القصيدة؟ وكيف تتجمع وتتوحد عناصرها في شكل فني له تأثير انفعالي عاطفي؟

وقد تحدّث فيلسوف إغريقي عن الشاعر بأنه هو الذي يأسر السماء والأرض داخل قفص الشكل، وقد تكرر القول بأنّ الشعر يملأ المسافة بين الطبيعة والأرض وبين الطبيعة وما وراءها. أمّا كيف

يتسنى له أن يصل إلى ذلك؟ فقد وصفه «لوتشي» بقوله:

«يجلس الشاعر على محور الأشياء، ويتأمل في

سرّ الكون ويغذي عواطفه وعقله على مآثر الماضي العظيمة، وإذ يتقلب مع الفصول الأربعة يتنهد لمرور الزمن، وإذ ينظر إلى ملايين الأشياء يفكر في تعقيد هذا العالم، فيحزن لتساقط الأوراق في الخريف المقعم عنوانا، وتملؤه غبطة أكمام الزهر الناعمة في الربيع العطر، ويعاني برودة وقلبه حافل بالرهبة، فإذا اطمأنت روحه حوّل نظرته إلى الغيوم، وروى نتاج الأسبقين الفائق، وأخذ يتغنّى بالعبر النقي الذي خلقه القدامى المتفوقون، وتجوّل في غابة الأدب ممتدحا تناسق الفنّ العظيم، وإذا اهتز هزة المنفعل رمى بالكتب بعيدا وتناول ريشته ليعبر عن نفسه في كلمات»^(٢).

وحين نعلم أن الشاعر هو الذي

يزاوج بين إحساسه وإحساس الطبيعة،

يزاوج بين عنصر معقد وعنصر آخر، فإنه يبرز الإمكانات الكامنة في العنصرين معا، فيحدث بذلك تواتر بين المعاني في القصيدة فيدفعنا إلى أن نرى شيئا مثيرا وهاما، فيكون بذلك الشعر حافظا على الإحساس بالجمال، ويكون الجمال مثيرا تمتزج فيه اللذة بالفائدة، ومن ثم الوصول إلى حقيقة الطبيعة^(٣).

لم يعرف الإنسان السحر إلا يوم أدرك قوة الكلمة، ولم يعرف الشعر إلا يوم أدرك قوة السحر، فاللغة والسحر والشعر ظواهر مترادفة في حياة الإنسان، والشعر هو الامتداد المستمر للاكتشاف الدائم لعالم الكلمة، ومن ثمّ كان الشعر الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة.

إن ما يميّز التعبير الفنيّ هو طريقة نسج كيانه أو بناء لغته، واللغة هي الظاهرة الأولى في كلّ عمل فنيّ يستخدم الكلمة كأداة للتواصل، كما تعتبر المفتاح الذهبي الذي يفتح كلّ الأبواب التي من خلالها نعبّر إلى الفضاء البعيد، ونحلّق في آفاق شتى، لذلك كان الشعراء على وعي كافٍ بوظيفة اللغة حيث أدركوا أنّ الكشف عن جوانب الحياة يستلزم بالضرورة لغة تناسب كل فترة من فترات الحياة، فليس من المنطقي أن تعبّر اللغة القديمة - لغة الشعر الجاهلي مثلا - عن التجربة الجديدة في الشعر الحديث، فقد أيقنوا أن لكل تجربة لغتها، وأن التجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة أو منهجا جديدا في التعامل مع اللغة.

إنّ لكل عصر همومه ومشاكله وقضاياها، والإنسان مطالب في كلّ عصر بأن يواجه كل فعل من خلال اللغة التي تتكيّف بحكم ما في طبيعتها من طواعية ومرونة، ووفقا لكل فعل وكل موقف، فتتحمل الجديد من الشحنات التعبيرية كلما تجددت الأفعال والمواقف، ومن ثم تبقى اللغة أوضح وأقوى وأدلّ ظاهرة تتجمع فيها كل سمات الوجه الحضاري الذي تعيشه الأمة.

ولم يعد الشعر ذلك الكلام الموزون المقفى الذي يدل على معنى خاضع لمقتضيات الأحوال، بل أصبح إطارا يلتئم فيه اللفظ والمعنى معا، لا أسبقية لأحدهما على الآخر. كما اقترن بأشياء غير محدّدة، كالكشف والمعرفة

”وحين نعلم أن الشاعر هو الذي يزاوج بين إحساسه وإحساس الطبيعة، يزاوج بين عنصر معقد وعنصر آخر فإنه يبرز الإمكانات الكامنة في كل العنصرين معا، فيحدث بذلك تواتر بين المعاني في القصيدة فيدفعنا إلى أن نرى شيئا مثيرا وهاما“

والشعر هو اللغة الإنسانية الأولى من حيث هو تعبير ذو طبيعة حسية، يخضع لنوع من التنظيم أو التشكيل يبين عن شعور بلغ درجة الانفعال، فحرّك الخيال الذي تأطر في سلسلة من الصور.

٩٩ كان الشعر هو اللغة بمعنى من المعاني لأن اللغة الشعرية لا تتحقق إلا على مستوى التركيب الذي يقوم على خرق منطقة العلاقات المألوفة في اللغة العادية عن طريق الإنزياحات التي يحدثها بين الكلمات والجمل والمقاطع ٦٦

«ويرى بولتون.. أننا سنجد في كلّ أي قصيدة ما لا نستطيع تحليله وفك رموزه، لأنه لا يوجد إلا في القصيدة بجملتها، وحين نحاول أن نعرف لماذا تَمَتَّعنا قصيدة ما، فإنّ علينا أن نفصل أجزاءها المختلفة، والسبب في هذا عمليّ بشكل ساذج، فمع أنّنا نستطيع أن نصف هذه الأشياء في نفس اللحظة، أنّنا نستطيع أن نفكر في عبارتين كاملتين معا في وقت واحد، وبعد أن نفصل العناصر المختلفة التي تكوّن القصيدة، سنجد شيئا ما قد فُقد.. إنّ أحدا لن يستطيع تحديد العنصر الحيوي في القصيدة تحديدا قاطعا»^(٦).

لذلك يرى أدونيس أن القارئ الحقيقي كالشاعر الحقيقي لا يُعنى بموضوع القصيدة، وإنّما يُعنى بحضورها كشكل تعبير، أعني صيغة الرؤيا، أيّ الحلم المترامي بين حسّ اللغة وسحر التعبير. [إهـ].

(١) آمنة بلعل: أثر الرمز في القصيدة العربية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية تيزي وزو، 1995، ص 6

(٢) محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ص: 175

(٣) المرجع السابق: بتصرف ص: 178

(٤) آمنة بلعل: أثر الرمز في القصيدة العربية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية تيزي وزو، 1995، ص: 75

(٥) حسن خافي: الوقوف على جدار اللغة، بحث في قضية اللغة لدى حركة مجلة شعر، ص: 01

(٦) محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ص: 20

أما البناء الشعري في صميمه فهو بناء علائقيّ يقوم على العلاقات المتبادلة بين العناصر، كل منها حاكم للآخر ومحكوم به، لذلك فالبدء بالجانب الصوتي وعلاقته بالمعنى -على تناقضهما ظاهريا- جزء لا يتجزأ من دلالة القصيدة، ليس في تكوينها العام فحسب، بل في بناء كل جملة لغويّة منها، وفي علاقة هذه الجملة بما يليها من جمل، علاقة إيقاع كما هي علاقة معنى.

لذلك توصف اللغة الشعرية بأنها بنية صوتية وتركيبية ودلالية^(٤)، كما تعتبر فضاء شاسعا من الإيحاءات باحتوائها على مجموعة تراثية متنوعة تقترب إلى الحلم أو ما يعرف في الاصطلاح بـ«الرؤيا»، وما تحمله من هواجس الحنين إلى المجهول.

ومن هنا كان الشعر هو اللغة بمعنى من المعاني، لأن اللغة الشعرية لا تتحقق إلا على مستوى التركيب الذي يقوم على خرق منطقة العلاقات المألوفة في اللغة العادية عن طريق الإنزياحات التي يحدثها بين الكلمات والجمل والمقاطع.

كما أن اللغة الشعرية لا تحدّد إلا من خلال وظيفتها البنائية داخل القصيدة، وهي وظيفة مزدوجة في بعدها: ترمي من جهة إلى التواصل بحملها مضمونا ما، وتهدف من جهة ثانية إلى التأثير الجمالي نفسه في المتلقي^(٥).

لذلك نميّز داخل اللغة الشعرية بين مستويين: مستوى إخباري تواصل، ومستوى رمزي إشاري، ولا فصل بين المستويين، إذ العلاقة بينهما جدليّة تنهض على الإضاءة المتبادلة، فبدون المستوى الأول يتحول الشعر إلى ألغاز وطلاسم، وبدون المستوى الثاني لا تتحقق الشعرية ويتعدم الفرق بين الشعر والكلام العادي، ونصبح آنذاك في أحسن الأحوال أمام نثر موزون، وباتحادهما معا نصل إلى سحر الشعر وأعلى درجات الجمال.

«الطاهر وطار»

ورحلة العودة إلى الله

عبد الله لالي

«الطاهر وطار» [1936-2010م] اسمٌ لامعٌ في سماء الأدب الجزائري بلا شك، وقد أطلق عليه البعض لقبَ «رائد الرواية الجزائرية»، وقد يكون هذا اللقب صحيحاً إلى أبعد الحدود، لكن الذي سأتناوله في هذه الدراسة هو أمر جوهري يتعلق بشخصيته، وما طرأ عليها من تحوّل فكري كبير..

• وطار اليساري القح..

كان «الطاهر وطار» في رواياته الأولى يساريًا قحًا، ناقماً على الملكية الخاصة ناثراً على الدين والعادات والتقاليد البالية (وفقاً لفهمه)، ويتجلى ذلك -أكثر ما يتجلى- في روايتي «الزلازل» [1974م] و«اللاز» [1974م]. كنتُ قرأتُ كلتا الروائيتين بنظرة الناقد المتفحّص، فتكوّنت في ذهني صورة قائمة عن «الطاهر وطار»، وكنتُ على علمٍ بخلفيته الفكرية، بل أكثر من ذلك كنتُ أنظر إليه على أنّه كاتب تافه، لا يستحق حتى مجرد القراءة، وإنما قرأتُ له لأعرف حقيقته أكثر وأتكلّم عنه إذا ما تطلّب الأمر على بينة ومعرفة راسخة..

«الطاهر وطار» اسمٌ لامعٌ في سماء الأدب الجزائري بلا شك، وقد أطلق عليه البعض لقبَ «رائد الرواية الجزائرية»، وقد يكون هذا اللقب صحيحاً إلى أبعد الحدود.. 66

والحقيقة أنني قرأت الرواية الأولى «الزلازل» بقرف شديد، ليزداد كرهى للطاهر وطار ولكلّ ما يكتبه، ورأيت كيف يجعل من رمز التدين رجلاً برجوازيًا يخاف على ممتلكاته وأراضيه من التأميم فيسعى إلى كتابتها بأسماء أقاربه الذين نسيهم منذ أمد بعيد، حتى يتفادى مصادرتها منه.. وكانت شخصية «بولرواح» النموذج السيئ للرجل المتدين الذي يقف في وجه القرارات التقدمية الجريئة التي إتخذها الرئيس الراحل «هوارى بومدين» [1978م] آنذاك..

ثمّ قرأت بعد ذلك رواية «رمانة» [1971م]، فالذي يدخل ماخوراً -أكرمكم الله- لا يبعد كثيراً عن الذي يقرأ «رمانة»، وقرأت أيضاً رواية «اللاز» ليزداد سخطي وحتّقي على وطار، خاصة لما رأيته يعطي الريادة في تفجير الثورة التحريرية للحركة الشيوعية، ويجعل من البطل اللاز اللقيط قائداً مثالياً لا يُشقُّ له غبار.. كان ذلك مُنتهى السخف والإسفاف، لكن مع ذلك كنتُ أعترفُ له بـ«فنّ السرد الأدبي المتميّز».

لما اطلعتُ على خلفيات حياته، وعرفتُ أنّه في بداياته كطالب كان «باديسيا/ زيتونيا» [1950-1954م]، أسفتُ لأنّه انسلخ من جلده وارتمى في أحضان الفكر المادّي المفلس.. ليحيي الاكتشاف لشخصية «وطار» الجديدة!

• تحوّل جديد في شخصية وطار..

جاءت فترة التسعينيات، حين كنت أتبع نشاطات «الطاهر وطار» في «جمعية الجاحظية»، وانهرتُ بإنجازاتها، فالجمعية كانت تتفوق في نشاطاتها المتنوعة على وزارة الثقافة ذاتها. ولقد لمست نوعاً من التغيّر الخفيّ في شخصية «الطاهر وطار»، رغم إصراره على تبني «الفكر الاشتراكي» الذي لم يعد يظهر في كتاباته بمظهرٍ سافرٍ.

بدأ الطاهر وطار يميل إلى تحسيد الفكر الصوفي في رواياته، أو لنقل بدأ يمزج بين الصوفيّة والشعرية التي صارت نفّس السرد الجديد للرواية، فخرج علينا الطاهر وطار بروايته «الشمعة والدهاليز»، وظهر فيها نوع من الاعتدال والرؤية الوسطية للأحداث والواقع الجزائري،



الطاهر وطار

هو في صالح الانتماء الإسلامي:

«ما دفعني لكتابة هذه المقالة هو ما لمست عند الكثير ممن كتب عنه في الحوار المتمدن بمناسبة رحيله، من تغييب لوجه آخر للطاهر وطار كمثقف وكروائي خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته على الأقل.

للطاهر وطار، إذن، وجه آخر يختلف كثيرا، حد التناقض، عن الوجه الأول الذي عرفناه له من خلال مواقفه ورواياته ومجموعاته القصصية الأولى: «اللاز»، «الزلزال»، «العشق والموت في الزمن الحراشي» (اللاز الثانية) [م1982]، «عرس بغل» [م1983]، «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» [م1982]⁽¹⁾، «الحوات والقصر» [م1974]...

في أعماله الأخيرة: «تجربة في العشق» [م1989]، «الشمعة والدهاليز» [م1995]، «الولي الصالح يعود إلى مقامه» [م1999]... وفي تدخلاته عبر وسائل الإعلام، راح وطار شيئا فشيئا يتخلص من تركته اليسارية، حتى بلغ به الأمر حد التعبير عن الندم...».

ثم يتساءل قائلا: «فماذا حدث حتى يُحدث وطار كل هذا الانقلاب في توجهاته وقناعاته وتحالفاته؟» ويجيب قائلا:

«هذا ما نلمسه من خلال قراءتنا لروايته «الشمعة والدهاليز» المعبرة حقا عن الوجه الآخر لوطار والتي هي خطاب سياسي تبريري تمجيدي في صالح الحركة الإسلامية. ولقد لمست في معظم ما كتب حول الطاهر وطار في الحوار المتمدن تغييبا متعمدا أو عن حسن نية لهذا الوجه...».

وفي حوار بجريدة الشروق يطرح هذا السؤال عن قضية التحول عند الطاهر وطار:

«سؤال آخر
رفعناه إلى الطاهر
وطار مفاده أن

ثم ظهرت رواياته الأخرى «الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي»، «والولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء»، وكذلك «قصيد في التذلل»، وكلها تعبر بشكل جلي عن تغير واضح في فكر وطار، وأنه انحاز إلى الفكر الإسلامي.. وكان كل ذلك مجرد إستنتاج مني، أكدته بعد ذلك عدة مؤشرات أخرى، غير نصوصه الروائية التي تبقى خاضعة لقراءات مختلفة، أذكر منها:

1 - تسميته لجمعيةته بالجاحظية، وهذا انتماء صريح للعربية، ممثلة في أحد روادها الأفذاذ أبي عثمان الجاحظ.

2 - في كثير من حواراته للصحف والجرائد، كان يظهر إعترازه بالحرف العربي وانتماءه الإسلامي، وينتقد في عنف دعاة الفرسة، أو ما إصطلح على تسميتهم فيما بعد بالإستصاليين.

3 - في جلسة خاصة مع الشاعر «عبد الكريم قذيفة» (كان مخرجا بإذاعة بسكرة الجهوية حيث كنت أعمل متعاونًا، وكان عضوا بالمكتب الوطني للجاحظية)، سألته عن هذا التحول الذي لامسته في فكر الطاهر وطار، لاسيما في رواياته الجديدة، فأكد لي حقيقة هذا التحول، وأكثر من ذلك، حين أخبرني أن أحد أعضاء المكتب الوطني هو إمام من أدرار توفي -رحمه الله- في تفجير وقع بالعاصمة.

4 - جائزة مفدي زكرياء المغاربية التي أنشأها الطاهر وطار تُنمى عن تحوله الفكري بشكل واضح، إذ يُخلد الشاعر الإسلامي الصرف شاعر الثورة التحريرية مفدي زكرياء رحمه الله.

5 - علاقته الطيبة بالإسلاميين، وعلى رأسهم أحد أكبر شعراء وأدباء الحركة الإسلامية وهو الكاتب الشهير «عبد الله عيسى خيلج»، حيث كانت تربطه بوطار علاقة حميمة وطيدة..

6 - كثير من الكتاب والنقاد لاحظوا هذا التحول، أذكر مثلا:

ما قاله «عبد القادر أنيس» في موقع «الحوار المتمدن»، بحيث يُعاتب ويلوم الطاهر وطار على هذا التحول الذي



الطاهر وطار

بالهزيمة. وهذا ما حصل لكثير من المناطق من هزيمة الحركات الإسلامية المسلحة، ودعوة قال: «اللهم أصلح هذه الأمة بما تراه»، فكان يعني ضياع بترول وأنفاق البترول من الآبار وتحوله إلى ماء زلال يدعو الناس إلى العمل إلى نزع اللباس الأبيض هذا وارتداء اللباس الأزرق لباس العمل، والتشهير على الزنود والعمل في الأرض والبداية من جديد إلى آخره، ليس هناك يعني لا مهاجمة أو شتم للإسلام والإسلاميين، ولا أيضاً لا أقول تمجيد ولكن تبشير، هناك يعني نظرة ورؤية موضوعية تقول ما لهؤلاء الناس وما عليهم بحيادية وبموضوعية تامة، والناس هنا انساقوا للقذف وللشتائم وللرفض الأعمى لكل رأي مخالف».

«أنا أفضل آراء النقاد ولا أفضل آراء زملائي الروائيين، هي ثلاث روايات «الشمعة والدهليز»، «الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي»، و«الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء»، هذه ثلاثة أعمال وهي قصيرة تعالج الظاهرة الإسلامية»

كلاماً تردد حول وطار كونه بعد الثمانينيات كسب الإسلاميين وخسر الشيوعيين. الإجابة من جهته لم تكن بالنفي ولا بالإيجاب، لكنه أكد بقوله: «بعض الشيوعيين فقط». وأردف قائلاً: «لما التقيت في باريس بالصادق هجرس الأمين العام لحزب الطليعة الاشتراكية طرحت عليه رأيي بخصوص الموضوع ووافقني، وكان له نفس الرأي.. وطرحت الفكرة نفسها على الأمين العام للحزب الاشتراكي الأردني ووافقني هو الآخر.. لا يمكن في نظري تجاهل طرف آخر لمجرد أنه يحمل وجهة نظر تختلف عن وجهة نظرنا».

7 - في حوار أجراه معه الإعلامي «أحمد حرز الله»، سأله عن موضوع التحول هذا، فأجابه بتلقائية تُظهر هذا التحول جلياً، كان السؤال المطروح كالآتي:

جاءت الأزمة الجزائرية (أي سنوات التسعينيات)، فكتب روايات قال عنها بعض النقاد إنها تحول جذري من الطاهر وطار الشيوعي إلى طاهر وطار الإسلامي، ومنها رواية «الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء» وروايات سابقة، ما تعليقك عن هذا الموضوع؟ هل تحولت من روائي شيوعي إلى روائي إسلامي؟

أجاب الطاهر وطار:

«أنا أفضل آراء النقاد ولا أفضل آراء زملائي الروائيين، هي ثلاث روايات «الشمعة والدهليز»، «الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي»، و«الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء»^[2008]، هذه ثلاثة أعمال وهي قصيرة تعالج الظاهرة الإسلامية، «الشمعة والدهليز» قال: «الإسلام هو الحل»، وطرح يعني قضية أي إسلام، أي حركة أي اتجاه، ثم التصادم بين الشاعر وبين القيادات الإسلامية، في «الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي» أطرحت قضية «جماعة المهجرة والتكفير»، قال مهاجر المدن مهاجر هذه الأساليب مهاجر كذا نعود إلى ما كان عليه الأولون، «فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»⁽²⁾ إلخ..

وفي «الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء»، هناك إقرار

• خلاصة:

ومن هنا يمكن أن نؤكد بشكل واضح أن الطاهر وطار عاش تحولاً كبيراً في المرحلة الثانية من حياته، التي بدأت بالتحولات الكبرى في العالم، بسقوط المعسكر الشرقي، وتبعها التحول الكبير في الجزائر، لكن هذا التحول لم تتضح ملامحه بشكل جلي للناظر من بعيد، وربما لأن «الطاهر وطار» نفسه لم يعلن عنه بشكل صريح. [إهـ].

(1) «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» هي مسرحية وليس قصة ولا رواية.

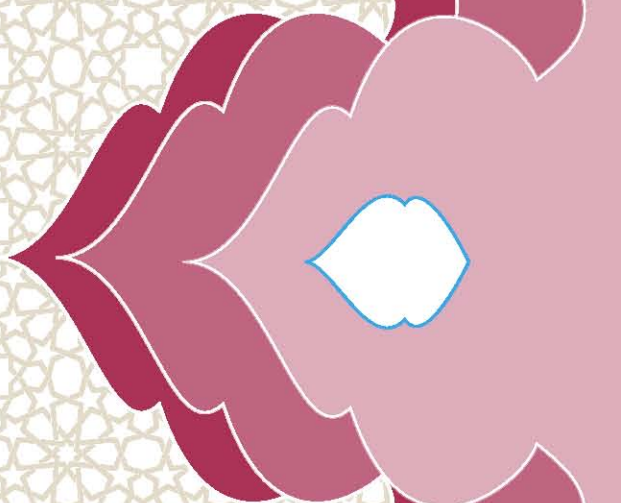
(2) من كلام الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-.



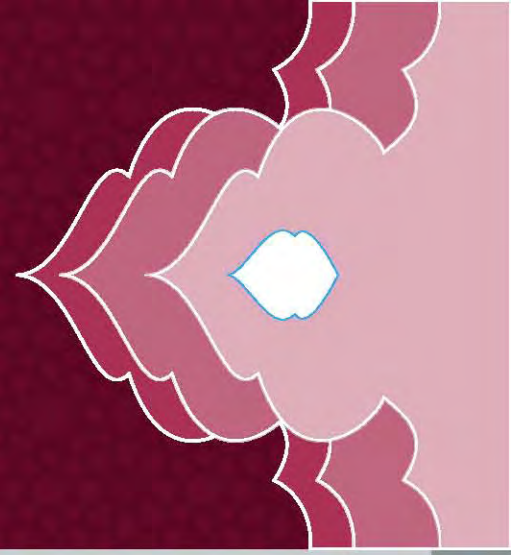
الخريدة مجلة

الفن ليس له قيود،
بل قواعده!

القصائد



القصائد



هذيان عاشق صوفي

بقلم عبد الوهاب بوشنة

وَحَمْرَةُ الْحُبِّ تُفْثِي سِرَّ مَنْ كَتَمَا
حَتَّى أَسَلْتُ بِحُورِ الشَّعْرِ فِي دِمَا
عَلَى فُؤَادٍ يَظِلُّ الدَّهْرَ مُضْطَرِمَا
بِأَنَّ تُغَبِّرَ فِي أَشْوَاقِي الْقَدَمَا
تِيهَا، لَتَرْفَعُ فِي سَاحَاتِهَا الْعَلَمَا
وَمَا سِوَى حُبِّهَا فِي خَافَقِي بَصَمَا
كَمَثَلِهَا لِخَمَارِ الْبَدْرِ قَدْ لَثَمَا
فِيَمَنْ طَوَّاهَا خِيَالُ الْقَلْبِ أَوْ رَسَمَا
وَتَبَتَّنِي الْوَجْدَ فِي أَرْكَانِهِ هَرَمَا
وَالزِّيْفُونَ بِهَا فِي مُهْجَتِي وَشَمَا
لَأَنْكَرَ الدُّرَّ فِي جَنْبِيهِ وَابْتَسَمَا
تُعَلِّمُ الطَّيْرَ مِنْ نُوتَاتِهَا النَّعَمَا
بِهِ الْجُمَانَةُ إِذْ كَانَتْ لَهُ رَحِمَا
تَزِيدُ شَارِبَهَا فِي حُبِّهَا نَهَمَا

إِيمَاءُ الْغَيْدِ⁽¹⁾ تَسْبِي عَقْلَ مَنْ وَهَمَا
وَبَيْنَ سُكْرِهَا قَدْ صَغَتْ قَافِيَتِي
وَمِنْ تَمَائِمِ لَوْعَاتِي فَزَيْتُ أَسَى
وَمَا سِوَى غَادَتِي الْهَيْفَا أَذْنْتُ لَهَا
وَأَنْ تُنْصَبَ تَمَثَالًا بِمَمْلَكَتِي
وَمَا سِوَى حَبْرًا قَدْ سَالَ فِي وَرَقِي
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ حُورِ الْأَرْضِ سَيِّدَةً
وَلَا تَزَالُ بِبَالِي غَيْرَ صُورَتِهَا
تُذَوِّبُ الصَّبَّ فِي أَهْرَامِ جِيزَتِهَا⁽²⁾
رِيحَانَةً، وَرْدَةً، فِي الرُّوحِ مَسْكَنُهَا
بِأَقْوَتِهِ لَوْ رَأَاهَا الْبَحْرُ بِاسْمَةٍ
أَيُّقُونَةً مِنْ صَدَى (فَيْرُوزٍ) نَغْمَتِهَا
زُمُرْدٌ، وَسَطَ الْمَاسِ قَدْ امْتَزَجَتْ
صَهْبَاءُ تَقْطُرُ شَهْدًا مِنْ بَنْفَسِجِهَا

(1) الغيد: جمع غادة، والغادة المرأة الناعمة اللينة.

(2) الجيزة: محافظة بمصر، أين توجد الأهرامات .

(بَلْقِيسَ) لَوْ لَمَحْتَ طَيْفًا لِفَتَّتِهَا
وَسَفَّهَتْ كُلَّ شَمْسٍ فِي عِبَادَتِهَا
عَزَّتْ فَقُلْتُ لَهَا: مَا بَالُ أَخِيلَتِي
وَكُنْتُ مُمَطَّرَةً بِالْغُنْجِ إِذْ يَسْتُ
فِي سِحْرِ عَيْنِكَ لُغْزٌ لَيْسَ يَفْهَمُهُ
وَمَا رَمَيْتِ إِذَا عَيْنَاكَ قَدْ رَمَتَا
تَأَجَّجَ الشُّوقُ فِي رُوحِي فَقُلْتُ لَهُ:
وَارْجَمْ شَقَائِي مِنْ سَجِيلِ فَاتِنَةٍ
لَا دَخَلَ لِي فِي صَدَى الْعَذَالِ إِنْ حَكَمُوا
مَا عَادَ نَبْضِي ثَجَّاجًا لِعَيْرِكَ إِذْ

لَعَنَتِ الشُّكْرَ فِي تَكْوِينِهَا (قَسَمًا)
وَأَتَكَّرْتُ بَعْدَهَا أَنْ تَعْبُدَ الصَّنَا
إِنْ حُزَّتْ فُنْدُقُهَا صَارَتْ بِهِ خَدَمًا
رُوحِي فُكِّنَتْ لَهَا (بَيْنَ النِّسَاءِ سَمًا)
إِلَّا الْحَبِيبَ، وَلَوْلَا السَّحَرُ مَا فَهِمًا
رَصَاصَةَ الْمَوْتِ، لَكِنَّ الْفُؤَادَ رَمَى
أَقْنِ الْعُيُونِ وَدَوَّبَ مَقْلَتِي عَمَى
إِنْ كَانَ قَلْبِي فِي تَهْيَامِهَا رُجْمًا
أَكَّانَ وَصْفِكَ فَوْقَ الْوَصْفِ أَوْ حُلْمًا
أَفْنَيْتَ فَوْقَ هَوَاكِ الْخَبَرَ وَالْقَلَمَا!

قبلة الأوجاع

صبيرة قسامة

لا تقرئي فنجان صبري يا أناسا
لا تسكري بالدمع.. بالعبرات مــــن
أنا يا أناي إذا شرحتُ مواجعي
صفدتُ شيطاني فأطلتُ غرْبتي
أنا بالتبني بنتُ كلِّ قصائدي
ضيَّعتُ فرضي في رثاء عروبتني
يا قبلة الأوجاع هُزِّي نخلتني
أسقطتُ تفاحي على أرض الردى
وخرجتُ من كل الجنان ومولدي
يمناي بيضاء ستحمل زيفها

ولتطردني من موطني كلِّ المَحــــن
قلبي تراوغه الكتابة والزَمــــن
كنتُ الضميرَ وفعله من بعد مــــن!
وسلوت عني فارتضى جرحي الشَّجــــن
لكنَّ أُمي عاقَر منذُ الوَهــــن
أثرى ستدركني به بعض الشُّنــــن؟
قد ضاع حلمي بين نومي والوَســــن⁽³⁾
فتمايلت أغصان قلبي في عَــــدَن
أمسى يصفف كل أرزاء الوَطــــن
لما تعانق حبرها مثل الكَفــــن

(3) الوسن: هو النعاس.

وَجَّهْتُ بِوَصْلَةِ الضِّياعِ لِسُودِي
سَلَّمْتُ تَارِيخِي لِنَافِخِ كِيرِنَا⁽⁴⁾
أُبَحِرْتُ فِي نَهْرِ التَّمَنِي مَا امْتَطَى
قَدْ كُنْتُ سَرِّي يَا أَنَايِ وَهَا أَنَا

فَوَجَدْتُ فِي جَهْلِ الْعُرُوبَةِ مَا فَتَّنَ
قَدْ ضَاعَ مِسْكِي وَارْتَدَى قَلْبِي الْحَزَنُ
سَفْنَا وَمَرْسَاةَ كَخْضَرَاءِ الدِّمَنِ⁽⁵⁾
ذَا الْيَوْمِ أَفْرَشَ ذِي الدَّفَاتِرِ لِلْعَلَنِ

باريسُ تنتحب!

رؤوف بن الجودي

صبري كجمرٍ، على الأحداثِ يَسْتَعِرُ
لا تحسبنَّ سُكُوتِي مَوْقِفًا وَهِنًا
سُتُونُ عَامًّا وَلَمْ تَهْدَأْ مَعَاوِلُكُمْ
مَتَى رَيْثُ.. سَابِكِي مُوطْنِي سَلَفًا
لَسْنَا «دَوَاعِشَ» كِي تُرْمَى مَسَاكِنَا
أَمَّا الْبَهُودُ فَمَا أَبْقَوْا لَنَا لُغَةً
أُورِثْتُ حَقْدًا عَلَى «بَارِيسَ» مِنْ زَمَنِ
«بَارِيسُ» تَنْزَفُ؛ يَا وَيْلِي عَلَى صُدْفٍ!
مَنْ كَانَ يَزْرَعُ أَلْغَامًا لَأَمْتَنَا
ذَاقَتْ كُؤُوسَ هَوَانٍ مِنْ مَرَارَتِهَا
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يُبِيدُ الْعُمُرَ فِي كَلْفٍ⁽⁷⁾

والعينُ من فَرَطِ أَحْقَادِي لَهَا شَرُّ
فَالَوْهَنْ ذُلُّ الْفَتَى قَدْ عَاذَهُ الطَّفَرُ
عَنْ نَبَشِ أَجْدَاثٍ⁽⁶⁾ تَارِيخٍ بِهِ عِبَرُ
عِرَاقُ عَرْضِي، وَفِي سُورِيَّةِ الصَّرَرِ
بِأَلْفِ سَهْمٍ وَنَابِ الْمَوْتِ يَنْتَظِرُ
لَا السِّيفُ لَا الرَّمْحُ، بِالْإِيمَانِ نَنْتَصِرُ
وَصِيَّةُ الدَّهْرِ وَالْأَعْمَارِ تُحْتَضَرُ
بَكَتْ عَلَيْهَا لِحَاطٌ دَمْعُهَا حَجَرُ
يَأْتِيهِ يَوْمٌ إِذِ الْأَلْغَامُ تَنْفَجِرُ
مَا كَانَ أَعْدَلَهَا فِي وَخْزِهَا الْإِبْرُ
عَلَى مَشَاهِدِ «فَلِمِ» كُلُّهُ عَرَرُ

(4) الكير: جلدٌ ينفخُ فيه الحداد.

(5) خضراء الدمن: هو ما نبت من عشب (أو وَرْدٍ) في الأماكن الخبيثة. وهي كناية عن المرأة الجميلة التي نبتت في مَنبَتٍ سوء.

(6) أجداث: جمع جَدَث وهو القبر.

(7) الكَلْفُ: هو الحبُّ الشديد.

روح النشيد

عُمر خزار

عد إلى روح النشيد
عد ولا تذهب بعيدا
كان عزفا من رصاص
حين غناها تهاوى
عد ولا تنحجل وردد
عد إلى الأوراس واسمع
ها هنا ناز ونور
ها هنا قد مات جيل
أنبتت من بعد صبر
غن للأوراس وافخر
عد ولا تقبل هوانا
كن لمن عاداك نذا
إن يقولوا: قد نسيتم
كيف ننسى كأس ذل
أنشد الأبيات واصدح
عد إلى روح النشيد
سوف يبقى ما عزفنا
كان هذا صوت حر
يا شهيد الحق أنشد

أثبها الجبل الحديد
إنه لمن الشهيد
ثار من جوف الحديد
كل جبار عنيد
قل معي: تحيا الجزائر
ما سترويه الجبال
ليس يحويه الخيال
في ميادين القتال
كل آيات الجمال
قل: أجل، تحيا الجزائر
يطمئ الأعداء فينا
لا تكن نذا هجيننا
قل: ورب ما نسينا
قد شربناها سنينا
بي: أنا تحيا الجزائر
واصنع الفجر الأكيد
ألف عام أو يزيد
جاء من ماضٍ بعيد
ها هنا جيل يُعيد



من غير إعجاب ولا تعليق

مصعب بلهاتف

من غير إعجاب ولا تعليق
لتعد أنفاسي وكلّ مشاوري
تهتم: مَنْ تَابَعْتُ؟ مَاذَا شَدَّنِي؟
ولَنْ أَشْرْتُ؟ بأيّ موضوع؟ وَمَا
تَسْتَمُّ كُلُّ قَصَائِدِي كَفَرَاشَةٍ
وتفتش الكلمات تَبَحُّثُ بَيْنَهَا
لتحلّل الأسواق، تفهم سرّها
مَنْ قَدْ قَصَدْتُ بِقَوْلٍ «أَنْتِ حَبِيبَتِي»؟
وَنَعِيشُ بَيْنَ ظُنُونِهَا وَجُنُونِهَا
وَتَرَوْحُ كَالْأَطْفَالِ تَمْسُحُ خَطْوَهَا
وَتَظُنُّ أَنِي لَسْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا

تأتي لتبدأ حملة التحقيق
وتغوصُ كَيَّ تَحْتِ كُلِّ عَمِيقٍ
مَنْ قَدْ أَضَفْتُ مُؤَخَّرًا كَصَدِيقٍ؟
قد قلت؟ أَوْ سَارَكْتُ مِنْ تَطْبِيقٍ؟
تَمْتَصُّ مِثْلَ النَحْلِ كُلَّ رَحِيقٍ
عَنْ أَيِّ: خَيْطٍ، شَعْرَةٍ، أَوْ رَيْقٍ
مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ؟ عَبَرَ أَيِّ طَرِيقٍ؟
ماذا قَصَدْتُ بِصُورَةِ التَّعْلِيقِ؟
أَطْوَارَ وَهْمٍ مُسْرِفٍ... فِي الضِّيقِ
عند الخُرُوجِ... تُشَدُّ كُلُّ شَهِيقٍ
كَانَتْ هُنَا.. «مِنْ عِطْرِهَا الْمَرْمُوقِ»

جلالة الجندي

أسامة رزايقية

ألقي مخاوفه وشغل مدفعه
نايٍ هديّة أخته لزواجه
من مثلنات العزّ تشرق دعوة
في التلّ أعلى قمّة ستهابه

يدنو إليه مطّولا كي يُسمعه
وقلادة من أمّه غنّت معه
قوموا فأبواب الجهاد مشرّعة
والسّفح أعرض عن خطاه فرّعه

ورصاصة كالشيخ يُقرأ أمرًا⁽⁸⁾
سرب من الأقدار طيب ظنه
ماذا يقول؟ يقول: أنف شامخ
سيسير كل طريقه متدبرا
من طينه يني جزائره التي
لو كنت تعلم كيف يبرأ جرحه
قل ضابط ومجنّد في حلفه
سيموت في إسلامه ويكنّه
لا خائف من موته ومبشّر
سبعون يشفع فيهم يمينه
بين انبعاث وانبعث آخر

حتى تعوذ من سواه وشيعة
ونسى احتمال النصر ثم توقّعه
ويرفرف العلم الشريف ليرفعه
لا يكسر الفخار حتى يجمعه
وإذا تهاوى البرج عاد ليصنعه
لا تسأل الجراح واسأل مبضعة
نور الملائك والصفوف مشعشة⁽⁹⁾
لو أرغموه على الهلال لينزعه
تتلى الشهادة والرصاصة مسرعة
وإذا القرار أتي يحرك أصبعه
تقف الحياة فخورة لتودّعه

مناجاة عاشقين في محراب الشعر رمضان بونكانو

هبت علىّك نسائم الزهاد
يا من قرأت الذاريات ويوسفاً
قلبي يراوخ في هوائ مكانه
ما كان ضرك لو مننت بنظرة
ماذا علىّك إذا غسلت دفاتري
تشفى جراح الشوق من ذراته
لما ذبحت على القبور جنوننا

يا من قضيت الليل في الأوراد⁽¹⁰⁾
وشهقت عند الذكر والإنشاد
يشكو من الإعياء والإجهاد
من مقلتيك ليستريح فؤادي
بمياه زمزم واحتسيت مداوي
ويسيل نهر العاشقين بوادي
نبتت عليه زنابق الحساد

(8) الأمر: كل من نبت شارب ولم تطلع لحية.

(9) الشعشة: هي انتشار الضوء.

(10) الأوراد: جمع وزد وهو الذكر التي يقرأها المسلم لحاجة ما (كأوراد اليوم والليلة).

أطفأتِ فانوسَ الغرامِ بحيننا
لا الشوقُ يعرفُ كيفَ ينقذُ نفسهُ
لا الحبُّ من شَرِكِ التأمُرِ قد نجا
صلَّت بحورُ الشعرِ فوق قصائدي
غَتَّتِكَ بالألحانِ ألفُ حمامةٍ
عزفتُ سنافينَ⁽¹¹⁾ المحبِّيةَ قطعةً
قد كنتُ في الإغواءِ قطعةً سُكِّرَ
كمْ قد شربنا من دنانٍ⁽¹²⁾ رحيقها
كمْ قد تجرَّعنا كؤوسَ شقائنا
حتى انجلى ليلُ الهوى متكشفاً
مدنُ المحبِّيةِ بعدَ موتكِ دُمُرتْ
أصبحتُ كالغجريِّ أحملي على
سافرتُ في جُنحِ الظلامِ وفي دمي
أدركتُ قبل الفجرِ آخرَ رحلةٍ
أحتاجُ حرزاً من غموضكِ عارفاً
لا تتركي التاريخَ يأخذني إلى
كل الخرائطِ بعدَ عهدكِ مُزَّقتْ
شوقي.. غرامي.. في دياركِ أصبحا
عيناكِ أبحرنا بعيداً عندما
شفتاكِ بعدكِ في المشاجِبِ⁽¹³⁾ عُلِّقتْ
والخوختانِ من التوتُّرِ باحتا
ماتتْ طيورُ الشوقِ في عُشِّ الهوى
وأنا حُزمتُ على البعيرِ حقائبي

وصلبتِ آمالي على الأوتادِ
من قبضةِ السَّجانِ والجلادِ
أبدأ، ولا قمرُ المودَّةِ بادِ
يا ضيعةَ الأشعارِ والسَّجادِ
وترنمتُ بروائعِ الإنشادِ
بأناملِ الناياتِ والأعوادِ
ذابتُ بكأسِ العشقِ للأحفادِ
نخبَ المحبِّيةِ عند بطْنِ الوادي
سُماً زعافاً وسُطاً ذاكَ النادي
عما اقترفنا بعدَ طُولِ سُهادِ
وتلبَّدتُ بسحائبِ الأحقادِ
كتفي، وأنشدُ في عيونكِ زادي
أمي.. أبي.. تجري مع الأولادِ
لسفينةِ الأبناءِ والأجدادِ
بمكائدِ الأنذالِ والأوغادِ
عصرَ الهزائمِ من عهدِ بلادي
وتفتتتْ كتفتَّتِ الأكبادِ
مثل العبيدِ بحضرةِ الأسيادِ
قَتَلَ الزمانُ عزائمَ العُبادِ
في قصرِ زينبَ قُرْبَ كُحُوحِ سُعادِ
بالسُّرِّ قهراً بعدَ طُولِ عِنادِ
وتعرَّضَ البستانُ للإفسادِ
ومضيتُ أشكو الحالَ للتوتُّبادِ⁽¹⁴⁾

(11) سنافين: جمع سنفونية، وهي القطعة الموسيقية.

(12) دنان: جمع دِن، وهو الوعاء الضخم للخمر ونحوه.

(13) المشاجِب: جمعُ مشَجِب، وهو ما تُعلَّقُ عليه الثياب.

(14) التوباد: جبل معروف بجزيرة العرب (جنوب غرب مدينة الرياض).

رحل ولم يعد

بوعزة أنيم

لم يبق شيء يغذي الشوق في جُلي
لم يبق شيء فذي الأيام قد رحلت
لم يبق إلا مرير العيش أكتبه
لا القلب قلبي ولا الأحزان راحلة
أنسى عزائي ولا أنسى تذكره
بل كيف أنسى حبيبا بات يغمرني
إن كنت أنسى فلم أنس ابتسامته
لكنم حلمت بأن يبقى معي أبدا
نلهو معا ونعيد نشو لذتنا
لكنه كظلال الحلم منتقل
لهفي عليه متى ألقاه ثانية
فلا لقاء وصار الوصل في غدنا
كأن عيني إذا أطيفه خطرت
إنني لأذكره؛ بل حين أذكره
لا شيء أتعس من قرب ويعقبه

إلا بقية دمع فاض في مقلي
بعهده وحياة الحب والجذل⁽¹⁵⁾
في وحدتي بمداد الحزن والممل
وهذه الحال لا تبقي على رجل
وكيف أنسى أنيس الأنس والبذل؟
بدفئه، بحنان الصدر والقبل
لم أنس فيه لذى الجد والهزل
يزهو بقربي في حلي ومرتحلي
ونعرس الفرحة الغناء كالأسل⁽¹⁶⁾
وما سمعت بظل غير منتقل
أم الليالي قضت بالبين في الأزل
عنقاء مغرب أو ضربا من الدجل⁽¹⁷⁾
سيل يفيض على الخدين من جبل
يتيه قلبي بين اليأس والأمل
بعدد؛ وإنه بعد الأرض عن زحل⁽¹⁸⁾

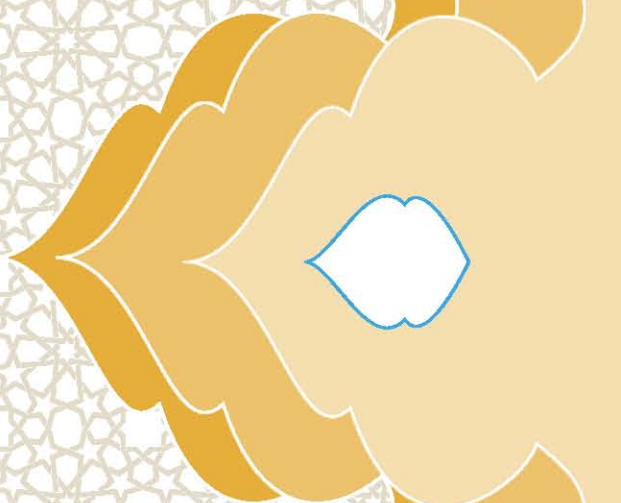
(15) الجذل: الفرحان.

(16) الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة، تصنع منه الحضر والحبال.

(17) الدجل: الكذب.

(18) زحل: كوكب.

القصة والرواية



القصّة والرواية



بدورها تحملته بكلّ عيوبه؛ حتى عندما أخبرهم الطبيب بأنه مُصابٌ بالعُقْم، لم تقرّر أن تتركه، بل قالت له بالحرف الواحد: «أنا أحبك كما أنت».

حبّ حتى الجنون

هدى الطرابلسي

أقصوصة

فراح يراجعها في قرارها الشّجاع: «لا أريد أن أحرمك من طعم الأمومة وكلمة ماما»..

فأجابته بكلّ ثقة: «تكفيني أنت.. فأنت



الحبيب والزوج والابن!»، فازداد بهذا الموقف تعلّقاً بها..

أمّا الآن - وهي على فراش الموت - فهو يتلوى قهراً لأجلها، لا يستطيع فعل شيء سوى مواساتها بالتحدّث عن ذكرياتها الجميلة التي عاشها معا..

جلس على حافة سريرها بالمستشفى، وهي تمسك بيده كأنها خائفة أن يهرب منها، تضغط على أصابعه من حين لآخر من شدة الألم والخوف، فقد كانت تشتكي من أوجاع أليمة بالرئتين، وأخبره الطبيب بأن العلاج لم يعد نافعاً معها، وأن أيامها معدودة، ربما اليوم أو ربما غداً.. الأمر كله بيد الله.. إغرورت عيناه بالدموع وترجّى الطبيب أن يحاول مرة أخرى، ويبحث لها عن علاج لحالتها حتى لو كان هذا العلاج خارج حدود الوطن.. سيفعل لأجلها المستحيل، المهم أن تعيش.. أخبره الطبيب بأنه لا داعي لكلّ ذلك، فحالتها عويصة وميؤوس منها، لأنّ بدنها لم يعد يتحمّل أي علاج كيميائي، لذا طلب منه أن يسأل الله التخفيف من آلامها لكي ترتاح.

وهكذا كان يفعل كلّ يوم.. يدعو لها بالشفاء ويقرأ لأجلها سوراً من القرآن.. كان يحبّها الى حدّ الدّله.. كانت هي أول حبّ طرق بوابة قلبه، وهي

أنفاسها..

فردّ عليه بنفس حسيّة: «يا ليتني لم أتركها..
يا ليتني سمعت كلامها وبقيت إلى جانبها...».

لقد ظلّ يذكّرها حتى بعد وفاتها بسنوات،
ويزور قبرها باستمرار، يُحدّثها كما لو كانت حيّة
ترزق، يسرّد لها تفاصيل يومه، وعندما ينتهي
يودّعها ويعود إلى المنزل، ليستأنس بصورها المعلقة
على كل الجدران.. لقد وصل به الأمر أن إتهمه
أصدقاؤه بالجنون، ولم يطل به الأمر حتّى تحقّقت
نبوءتهم فأصبح مجنوناً بالفعل.. حملوه إلى مصحة
الأمراض العقلية، يجلس في غرفة لوحده، يحتضن
بشدّة إطار صورته، يعانقها بقوة ليل نهار.. وكلما
حاول المرضون أن يأخذوا منه الصورة، صرخ في
وجوههم، وقد يصل به الأمر أن يهاجمهم بكلّ
شراسة.. لقد غدت حياته معلقة بصورة
وذكريات.[إه].

كانت تشعر بأنها تعيش ساعاتها الأخيرة، ولكنّها لم
ترد أن تعكر صفو تلك اللحظات الممدودة بالبكاء
والنحيب.. حتى الوجع أصبحت تتحمّل وقع
سياطه من أجله، لا تريده أن يعلم بذلك.. يشقّ
عليها أن تراه حزينا كئيبا؛ إنّها تلاحظ عبراته
المتهاوية من مقلتيه في العديد من المرات التي
يحاول فيها إبعاد وجهه إلى الناحية الأخرى.

تحدّثا طويلاً ذلك اليوم، أخبرها بأنّ لديه
اجتماعاً هاماً لا بدّ أن يحضره، وبأنه لن يتأخر
كثيراً.. ترجّته أن يبقى، لأنّها تخشى البقاء وحيدة
يطوّقها الملل من كلّ جانب، في غرفة يخنقها
الصمت.. أصرّ أن يذهب ووعداها بأنّه سيعود في
خفقة من البرق.. لما بلغ موقف السيارة، لم يجد
المفتاح في جيبه، وتذكّر أنّه تركه في غرفة
المستشفى، فقفّل مسرعا لاستعادته.. ولما اقترب،
وجد الطبيب المعالج والمرضة يشرعان في
الخروج والتجهّم يكسو وجهيهما.. ارتعدت
فرائسه، شعر على الفور بأنّ مكروهاً قد حصل، بل
فهم أنّها قد ما.. تت!

ابن الإنسانية

مصطفى بوالطين

قصة (فصل 2/1)

الموتى لا يرجعون بعد الموت، لكن أبي عاد
بعد أن قتلته بيدي، غرزت الحنجر في قلبه فخرّ
متثاقلاً أمام قدميّ شاخص العينين.. لما عُدت من
رحلة علاجي، وجدته في البيت كأن شيئا لم
يحدث، وجوده هو الشيء الوحيد المعهود منذ
عودتي إلى الوطن وسط النظرات المرتبكة التي
يلقيها سكان الحي على الخارج لتوه من مصحة
«سانتا روزا» النفسية بكاليفورنيا الأميركية،

مضى الطبيب دون أن ينبس بكلمة، وتبعته
المرضة.. دخل هو مهولاً إلى الغرفة، ليَجدها
مسجّاةً بغطاء أبيض.. أزاح الغطاء ببطء شديد،
والأمل الخافت ما يزال يشعّ في قلبه.. لقد قضت
نحبها بالفعل، وأسلمت روحها وهي باسمه
الثغر.. لقد كانت آخر رسالة قبل أن تغادر محطة
الحياة.. بكى كطفل صغير حتى سُمع نسيجه،
ليجد الطبيب وراءه يربّط على كتفه، وراح يخبره:
لقد كانت طيلة وقت مغادرتك، تردد اسمك
باستمرار.. وبقيت كذلك حتى لفظت آخر

إفراطه في الشرب.. إفراط جعل أمي تدفع فاتورته
من لحمها الطري المرصع بالكدمات.

في الليلة التي قتلته فيها، كان كثور هائج
يتخبّط في كل اتجاه، يرمي بها ويلكؤها في كل
نواحي جسدها، أمسكت قبضته فدفعتني إلى
الحائط، أسرعّت إلى المطبخ لأحمل سكيناً أهدده
بها، لكنني عند عودتي وجدت أمي طريحة الأرض
بلا حراك.. لم أع ما فعلته إلا ووالداي على الأرض
جنباً إلى جنب.. هو غريق في دمايته، وهي غائبة عن
الوعي من شدة الصدمة..

لم أعلم كيف تمت الإجراءات، غير أنني كنت
سعيداً لكوني ساقضي ثلاثة أشهر في الولايات
المتحدة الأميركية عدت منها لأرى الوطن، كأني
أراه للمرة الأولى مسلوب الألوان، متهاكاً، يئن
في صمت ولا يسأل عن شيء غير قوت يومه.
تخرجني أمي من سجن ذاكرتي بمطالبتني بترك ما
في يدي ومرافقتها إلى الطبيب لإجراء المتابعة
الدورية.. أسأها

الطريق :
كيف

للعلاج من موجة اكتئابٍ حادٍ ألّت به بعد الغياب
المفاجئ لأبيه.. تتساقط شظايا كلامهم على أذني



عن هجرته إلى فرنسا طوال أعوام، كنت متيقناً
فيها أنه لم يعد جزءاً من هذا العالم، يتخافتون فيما
بينهم عن شقراء فرنسية لعبت برأسه تحت بریق
عاصمة النور لتلقي به على قارعة أزقتها النظيفة
بعد أن سلّبت كل ما يملك.

في المصححة أكثر شيء تعلمته، هو ألا أكثرث
لكلام الآخرين، وأن أثق فيما تراه عيناوي ويمليه
عليّ رأسي.. أفتح أي كتاب تقع عليه يدي، لقد
احتلّت القراءة جزءاً كبيراً من يومياتي حيث كنت
أدخل مكتبة المصححة الضخمة ولا أخرج منها إلا
بعد ساعات، تشدّني سِير العُظماء وملاحم
القدماء، ألتهمها بشغف فقدته عند عودتي.. لا
أستطيع أن أركّز على عنوان الكتاب الذي حملته،
أحاول القراءة لكن المشاهد تراقص أمامي بلا
هوادة، صوت أبي المخمور في أواخر كل ليلة ينهال
بشتائم على أمي التي تنتظر أن تخور قواه لتلقفه
وتجرّه إلى غرفته راضخة لهوان سبابه وماسحة
بصاقه عن وجهها الطاهر.. الكلمات لا وجود لها،
كل ما في الكتاب وجه أبي المشتعل غضباً في ليالي



الأمير عبد القادر

استطاعت أن تغفر له خيانتَه وهجرَه لها كل هذه السنين؟ فتُجيبني ببراءة علّت حُيّاها، أنّ الإنسان عليه أن يُسامح حتى يستمرّ في الحياة، وأنها تُسامح لنفسِها لا لوجه أحد..

تُكمل طريقنا دون أن أستوعب ما تقوله، ندخل على الطبيب فلا يبدي أي تجاوب.. فور وصولنا يجلس في مواجهتي، يرمقني بنظرات باردة لا تُوحى بشيء، فعدمُ مبالاته تستفزني، ما زال يحسبني مريضاً، وأن رحلتي قد عقدت من وضعيتي.. كنتُ أخبرته كيف أفنعتُ الأطباء -هناك- بسلامة أفكارِي والدور الحاسم الذي ينتظره العالم مني.. يتزلّق الطبيب في كرسيه عندما أبدأ في إخباره كيف أن «حسيبة بن بوعلِي» و«العربي بن مهدي» إنزويّا بي يبلغاني المبادئ الحقيقية للثورة، والتي يجب أن أحفظها عن ظهر قلب وأعمل على تلقينها لكل أفراد الشعب، لتكون همّ منهاجاً يرفعون به البلاد إلى المراتب العليا.. لم يكن كلامهم شعارات فارغة تُردّد في المناسبات الوطنية وعند اقتراب آجال الانتخابات.. «بن مهدي» يتحدث في عجلة، خشية أن يُحوّل الجَلاد بينه وبين إيصاله الرسالة إلى الأجيال القادمة، ولا يتوقف عن النصّح لهم، رغم سحب الجلادين له وكمّهم لِقَمه، تَبكيه «حسيبة» بدموع غزيرة تنحدر على خدّها النضر، أواسيها فتُجيب بكلماتٍ مخنوقة أنها تخشى أن يذهب دمه سُدى بين المزايدات السياسية والنعرات القبلية، إنّها مُتيقنة أنني سأكون الحارس الأمين لنار المشعل المتقدّة، لذلك يجب أن أنجو من الانفجار القادم.. تفتح الباب الخلفي لأُخرج وتُغلّقه خلفي مباشرة..

أجد «الأمير عبد القادر» ينتظرني ممتطياً جواده الأبيض الأصيل، يجعلني رديقه، وينطلق بنا قبل أن انفجر البيت خلفنا، ألثفت لأرى ما حلّ بحسيبة، فيطمئنني بأنها ماتت ليحيى وطن بعدها، وأن روحها لم تُقبَض، لكنها تناثرت في البرايا تبعث فيهم روح الحرية التي كادت تنعى نفسها.. يُسرّع بنا الجواد فأطوق الأمير بذراعي وأُسند رأسي على ظهره كطفلٍ غرير.. يصلّني منه صوته الواثق «إننا سلالَة الأحرار، لن يَهْأ لنا بالٌ حتى تغمرنا الحرية نقيّة لا شائبة فيها».. لقد أخبرني أنه يعوّل عليّ للتخطيط لهذه المهمة المصيرية، فلم أملك إلا أن أرددّ عليه «إنني لا أملك الخبرة الكافية»، فيُحذّرني من الوهن ويذكّرني «أن الطريق طويلة، وفيها من التجارب ما سيّزيفني فطنة وتمييزاً للأعداء الحقيقيين».. [يُتبع].

قُضِبَ أَنْ الْقَلْبَ

دليّة مكسح

أقصوصة

كنتُ أراه هناك قابعا في الزاوية بعينه الصغيرتين، حدّثهما غير مألوفة عند طفل لم يتجاوز الثانية عشرة، جيء به صباحا من أحد الشوارع الثائرة.. كان وجهه مزرقا ويدها منتفختين ممّا تلقّاه من تعنيف، وكانت ملابسه ممزّقة.. ورغم الارتعاش البادي على جسده، فإن حدقته كانتا تخفيان أمرا عظيما لم أستطع فهمه.. نسيْتُ في تلك اللحظة آلام تعذبي وأنا أراه يصرّ على مغالبة تأوهاتِه، إقتربتُ منه لأواسيه، كي أجعله يتجاوز صدمة الزج به في زنزانة، لأتفاجأ من ردّه عليّ بإصرار:

- «لستُ طفلاً فلماذا تحدثني مثل الصغار؟».



يغزو عيون العربية النجلاء العائدة من عمق البادية؛ كأنها ليلة لا كالليالي الأخرى... يُراودها المسهاس، إنها تباهي بزرقته الليلية القائمة ناصية البياض، وتضفي مسحة الفراغ، تتحدى بسكونها فزع النهار المرتقب، تفرغ الأشياء من محتوياتها، تضع مكان القهقهة بسمة الحذر، تصنع إرهاباتها من متاهات السكوت المهول.. إنها نزهة الترقب والاشتياق، إنه السفر في دهاليز الذات القلقة حيث تكثر التساؤلات وتستيقظ أرواح الأرق...

هكذا بدأت في حدة وتوتر أكثر، تولد الليالي وتوأت في الخفاء، لا تفضح اغتيالاتها إلا أمواج النهار الكالح.. «ذبحوا!.. قتلوا!.. أخذوا!.. دمروا!..»، يحملها أثر الأشواك وتنقلها وخزات القلم.

دخل كعادته إلى بيتهم قبيل الغروب متعباً، يدفعه القنوط.. لقد أقعدته البطالة المفروضة على هذه القرية التي أضحت كالجسد المريض مرهقة الأطراف؛ نسج العنكبوت خيمته في الورشات، وخذت النار المقدسة، وأطرقت المطرقة، وانطلقاً جهاز التلحيم الذي كان يجمع المفككات، سككت محركات الجرارات، والحاصدات، والشاحنات التي كانت تنقل الحثيرات، واكتسحت المدرعات الميدان، واستوطن صوت الرصاص، تردد صده الشوارع والفضاءات.. «لا تخرج بالليل!!!.. تحرّ النهار!!!.. احذر!!!»، وفرص حرق اللاء أعمدته وسياجه على امتداد المكان والزمان..

دخل إلى القاعة الفسيحة المزينة الصدر

اندهشت من كلامه، أحسست أن الآتي أعظم، كيف لطفل أن يتغلب على براءته الطرية؟ كيف له أن يغالب إحساس الخوف في داخله؟ كنت أظنه مثل أي صغير حين يحس بالخطر، يتمنى حضنا دافئاً يغوص فيه، لكن توقعاتي كانت خاطئة، نسيته في تلك اللحظة أنني وراء القضبان، بدا لي ذلك الطفل، أو ذلك الرجل -لأنه يستحق نعت الرجل- نافذة أعب منها كثيراً من الضوء والهواء، ابتسمت فرداً عليّ بإبتسامة جادة، قلت له بتوجس: «هل يعجبك المكان؟».. نظر إلي باندھاش وقال: «ليس فيه ما يُضجر»..

أضفت: «والقضبان ألا ترعبك؟»، فقال: «لقلبي قضبانة الخاصة!!»[إه-].

ليلة القط

مختار سعيدي

أقصوصة

كان الليل قد خيم على الديار، إذ أرخت السماء ستارها، وساد ذلك السواد الجميل، الذي

كان صوت التلفاز مدويا يضاهي صراخ
الأطفال الصغار وقهقهتهم، ها هم يهرولون
خلف ذلك القطّ المرح «عتور».. فالنظافة
والرشاقة والمهارة تستهوي الجميع لمداعبته..
يَحْتَبِي، يُهاجم، يُطارِد، يَقْفِز.. كان «عتور» نَشِطًا
ذكيا لدرجة تسترعي الدهشة والإعجاب، يأكل
كل ما يجده، حتى الحلوى والشكولاتة.. يَلْعُقُ



كؤوس الشاي، يتقاسم مع الأطفال أكلهم
ونومهم ولعبهم.. في وسط هذا الضجيج،
وفوضى الأشياء بداخله، إستلقى هذا القطّ على
الفراش، يتأمل زخرفة السقف الجميلة، كأنها في
عينيه منمنمات توهّم البصر وتشغل البصيرة، تحفّ
الشرى المبتهجة؛ فالنوافذ مغلقة بإحكام..

كان الجور في الداخل ثقيلًا، والعياء بلغ حده،
لم يكن من طبعه أن ينهر الأطفال، بل كان يُمارِسُ
معهام ذلك التصعلك الصياني الذي يذكره بآيام

بالزراي الصحراوية والأرائك الإفرنجية، إنها
تأكل في صمت.. صورة الشيخ معلقة على
الجدار، فوقها بندقيته، عين الصقر فوق شنب
ثائر.. نظر إليه: «هكذا انتهيت..!»، قالها في نفسه،
«حتى في الصورة لا تنكسر..!».

كانت العشيرة كلها تدين له بالولاء، بيده

الحل والعقد، هذه العشيرة التي
جمعت صنفى المواطن: القاطنين في
البادية، أهل بذر وبذر وزرع، أهل
الترويض وركوب الخيل والفتازيا،
أهل الكرم والجود والفروسية؛
والقاطنين في الشمال، أهل المدنية
والإدارة والأبهة والسلطة والنفوذ!

جناح هذا البيت مجهز بكل ما
يحتاج إليه الضيف مهما كانت منزلته،
ومهما كانت الطبقة التي ينتمي إليها،

والضيف عندهم مقدّس جدًا: له دورة مياه
خاصة، فيها كلّ لوازم النظافة والطهارة والزينة،
من صابون وعطر رفيع وورق.. لا تزال كما هي
كلها: شفرات للحلاقة، وقطعة «الشب»، لأنه
نادرًا ما كان يخلق ذقنه دون أن يحدشه، كان رحمه
الله يقول: «الي فاتك بالزین قوته بالحسنة» (١).
ما كان يقضيه في تهذيب شواربه يتجاوز بكثير مدة
حمامه، يلقبونه بـ«الموسطاش»، أحفاده يسمونه
«العشرة وعشرة»، قال أحدهم إنها إشارة إلى
الساعة، وقال الآخر: عشرة رجال وعشر نساء،
وقال أحدهم: عشر سنين وعشر، وقالوا غير
ذلك..!!

جدوى.. ما يزال الضياع والانهيـار يمزقان كل
قبسٍ للصورة الجميلة التي يختلسها نظره من حين
لآخر.. في ذلك الأفق البعيد، دقات تشعره بأن
صقرا ينقر على رأسه، وأيّ شيء هذا الذي يشده
من سـرواله ليُلقي به حيث لا يدري..

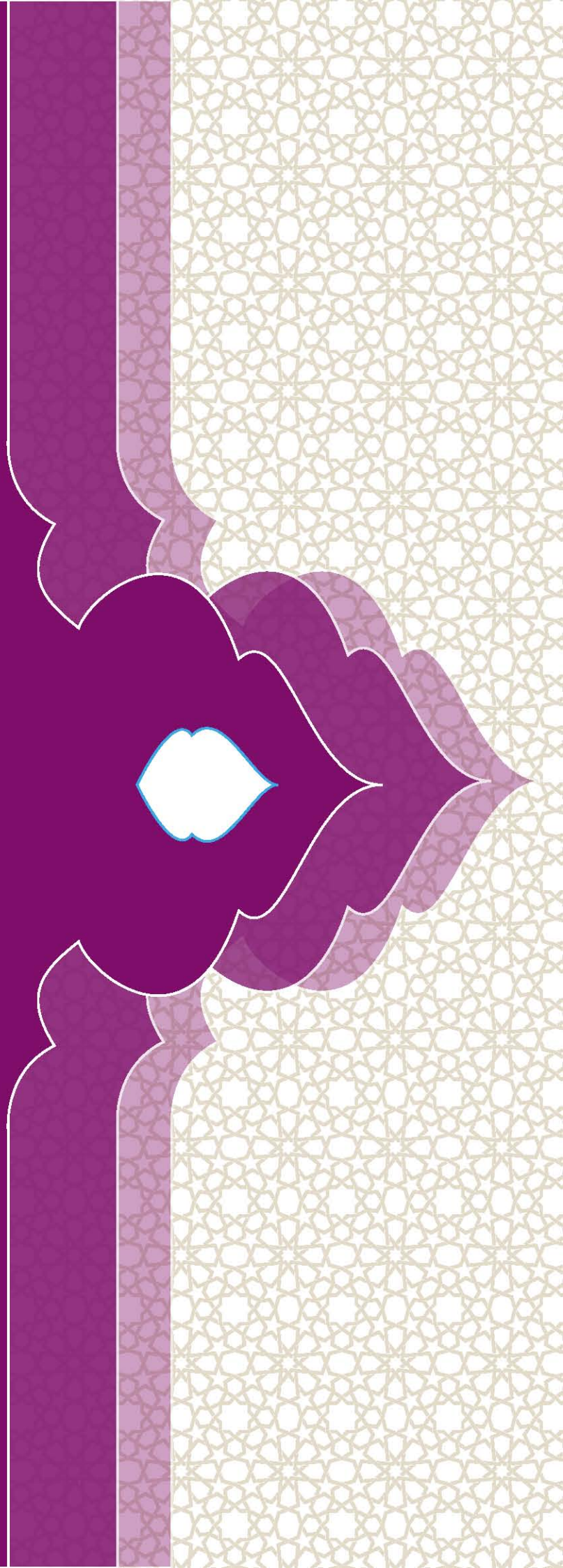
وفجأة خرجت الصرخة: «لا لا لا!..» كأنها
صدى انفجار، فاستوى صاحبنا قاعداً.. وجد
قِطْعَةً يُلاعِب رِجله، ودَقَّاتِ الْمُنْبَهِ تترنم، والديك
الفصيح -كعادته- يصيح لإعلان فجر يوم
سيُولد... [إهـ].

(1) مثل عامي (خاص بمنطقة الغرب الجزائري)، معناه: «من سبقك
بالجهال، سبقه بالخلاقة».

طفولته.. رغم شساعة البيت واتساع أركانه
ومرافقه، بدا له كأنه قَفْصٌ ضَيِّقٌ، استلقى متمددا
على ظهره تداعبُ أجفانه السِنَّة بعد الأخرى،
والجو الذي يحيط به يبتعد شيئاً فشيئاً، ثم يعود
ليختفي حيث لا يدري، تنتابه الغفوة بعد
الأخرى؛ حتى لا يسمع إلا همهماتٍ وخشخشة
أصواتٍ يبتلعها المجهول رويداً رويداً، ويسلب
معها مدارك الجسم.. وفجأة بدأت أحداث أخرى
في عالم آخر تجذبه إلى غربة أخرى، أحس بضيق في
صدره، تبعه خفقانٌ سريعٌ يتسابق نحو نقطة في
الفراغ كانت -وهي الآن في اتساع- تشكل دائرة
مُفَرَّغة يتيه فيها العقل مقيداً ومذعوراً، تطارده
شِبَاكٌ مُعَقَّدة الحبك، وتجري وراءه ضرباتٌ كأنها
قطراتٌ باردة تسقط فوق دماغه، وتُفَرِّغُ طَبولُ
الخطر في أذنيه، أصوات عائدة من بعيد،
استغاثات، نداءات، صيحات.. يحاول أن
يستغيث فلا يقدر!.. صراخ يُمزق ضجيج
الأشياء..

والأشلاء التي تتشكل -مبهمة- تجذبه من
كل جهة، شيء ما يشده من قدمه، يحاول جرّه نحو
الأسفل، أفقدته هذه الهواجس السيطرة على
مفعول الحياة الذي كان يتسرب إليه من فجوات،
يتلمّسه بلهفٍ، تشنجت أعصابه لدرجة تُنذرُ بدنوّ
الانفجار، كأنها أوتارٌ اشتدت لعزف مقطوعة في
قمة التوتّر، ذلك الشيء العالق بسـرواله، إنه ما
يزال يشده، كأنه يد خرجت من قير تجذبه بكل
قوّة، البشاعة تلّفهُ لَفًّا، ثَقُلَ ما يُحاول أن يسقط
فوقه.. الآن آه، سقط فوقه، إنّه يغشاه، يخنقه،
يستغيث مرةً أخرى، أراد أن يبكي، لكن دون

حرف فدا
الشهر



العربية، تلاها قرارُ منظمة اليونسكو استخدام العربية في المؤتمرات وترجمة الوثائق والمنشورات الأساسية إليها. وقد اعتمدت الترجمة الفورية للغة العربية عام 1968، ومع استمرار الضغط الدبلوماسي العربي، تمّ في سبتمبر 1973 اعتماد اللغة العربية كلغة شفوية في الأمم المتحدة، وبعد ازدياد الضغط من أجل اعتماد اللغة العربية في كل نشاطات الأمم المتحدة، تم إدراجها في جدول أعمال الجمعية العامة لسنة 1974 بناء على طلب تقدمت به كلٌّ من «الجزائر، العراق، ليبيا، الكويت، المملكة العربية السعودية، اليمن، تونس، ومصر»، لتُصبح اللغة العربية إحدى ستّ

لُغاتٍ معتمدة في الأمم المتحدة.

وفي أكتوبر 2012، وأثناء انعقاد الدورة المئة والتسعين للمجلس التنفيذي لليونسكو، تقرر تكريس يوم 18 ديسمبر يوماً عالمياً للغة العربية.

يحتفل في 18 من شهر ديسمبر من كل سنة باليوم العالمي للغة العربية، حيث يمثل هذا التاريخ، اليوم الذي أصدرت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يحمل الرقم (3190)، تُقرّ بموجبه إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في هيئة الأمم المتحدة.



وقد جاء اعتماد «اللغة العربية» في الأمم المتحدة بعد ضغوطات وجهود بُذلت منذ منتصف القرن الماضي، حيث تمّ في 4 ديسمبر 1954 الترجمة التحريرية للنصوص والقرارات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة إلى اللغة

وتعتبر «اللغة العربية» إحدى أقدم اللغات عبر التاريخ، وهي تنتمي للغات السامية والمفترقة عنها، ويتكلم بها اليوم ما يربو عن 422 مليوناً، يتركزون في «شبه الجزيرة العربية» و«شمال إفريقيا» و«الشرق» وبعض الأقليات في «تشاد والسنغال وإريتريا» وأجزاء من «تركيا» و«الصومال»، وهي اللغة الرسمية في «جمهورية جزر القمر المتحدة» و«جيبوتي». كما تُعد اللغة العربية إحدى أكبر عشر لغات إنتشاراً في العالم، حيث تحتل المرتبة الرابعة من حيث عدد الناطقين بها، أي ما يعادل (6.6٪) من سكان الكرة الأرضية.



غير أن المتجول في الضواحي والمطاعم الكبرى بدولنا العربية، سيُصدَم من جراء الاستعمال المُفَرِّط للغات الأجنبية، في حين أن اللغة العربية تستعمل كلغة ثانية في الغلة القليلة من هذه الهياكل النشطة التي يفترض أن تكون أول من يُروِّج للغة العربية والثقافة العربية.. إذ تُعتبر الضواحي والمطاعم أول ما يقصده السياح ورجال الأعمال في تنقلاتهم إلى المنطقة العربية. كما أن المتجول في شوارعنا -خاصة بدول

المغرب العربي- سيُصاب بالذهول لا محالة!.. وقد يصعب عليه التصديق بأنّه في بلد عربي، وذلك من كثرة ما يطرُق سمعه من المصطلحات بلغات العالم كلّه: في واجهات المحلات، وأسماء المنتجات، وواجهات الهواتف والمواقع، والتلفزيون.. وقد يندر جداً أن توجد لوحة إرشادية مكتوبة باللغة العربية، حيث أصبحت العربية غريبة في عقر دارها، بل أصبحت كالزُمرّة البالية التي يُدعى الله أن يرحمها في رسمها!

«غير أن المتجول في الضواحي والمطاعم الكبرى بدولنا العربية، سيُصدَم من جراء الاستعمال المُفَرِّط للغات الأجنبية، في حين أن اللغة العربية تستعمل كلغة ثانية... التي يفترض أنها أول من يُروِّج للغة العربية والثقافة العربية..»

إذن، من المهم جداً أن يعي المواطن العربي أن مهمّة الحفاظ على لغة القرآن مسؤولية كل فردٍ ناطقٍ بها، متمٍّ إليها، وأن يعي أن التحلي عنها إيلانٌ بانقراضها وفنائها.

للتذكير فقط، فإن يوم 21 فيفري هو يوم عالمي للغة الأم (langue maternelle)، وليس يوماً عالمياً للغة العربية، كما يتوهّم البعض! [إها].

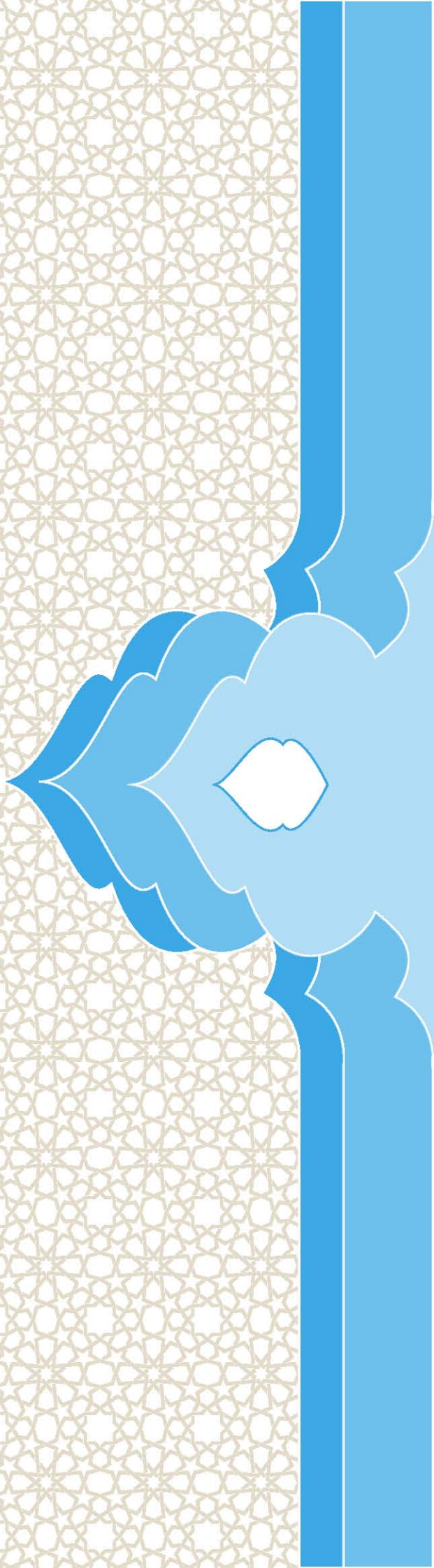


«ما نحن فيمن مضى،
إلا كبقلي بين أصول نخلي طوالٍ..
فما عسى أن نقول نحن،
وأفضل منازلنا أن نفهم أقوالهم،
وإن كانت أحوالنا لا تشبه أحوالهم».

[أبو عمرو بن العلاء]

مجلة
الخريدة

من التراث



من التراث



• توطئة

إن الكلام على إعجاز⁽²⁾ القرآن الكريم عند إمام البلاء من المتأخرين السيد «مصطفى صادق الرافعي» كلامٌ يطول، والخائض فيه يحار من أي الجوه يبدؤه، وماذا يأخذ منه، وماذا يترك. وحسبنا في هذه البحث الوجيز أن نُشير إلى أمرٍ مهمٍ للغاية؛ هو أهم النقاط التي تفرّد الرافعي بالكلام عليها في باب الإعجاز.

لقد تكلم الرافعي -رحمه الله- على إعجاز القرآن الكريم من وجوه عديدة، من حيث مفرداته، وتأثيره في كلام العرب، وتكلم في الإعجاز السياسي والإعجاز النفسي والإعجاز العلمي والإعجاز البلاغي.. إلى أن وصل -حسب ما صرّح- إلى غرض الكتاب ومقصوده. فأخذ في تفصيل ذلك عرضاً وتحليلاً، فقال: «ونحن الآن قائلون فيما هو الإعجاز عند علمائنا -رحمهم الله- وما وضعوه فيه من الكتب؛ ثم ما

هي حقيقته عندنا؛ ثم نبسط الكلام فضلاً من البسط في إعجاز القرآن بأسلوبه وبيانه مما يماس اللغة ويستطرق إليها»⁽³⁾.

و نحن الآن موقوفون على أهم ما جاء به الرافعي في بابة الإعجاز، وإننا قصدنا التلميح والتنبيه مع الاختصار.



إعجاز القرآن

نظرة في كتاب إعجاز القرآن
والبلاغة النبوية للرافعي

محمد بكيف

مراجعة: رؤوف بن الجودي

• مقدمة

لا يزال القرآن الكريم مصدر إعجابٍ ومبعث إعجازٍ، منذ أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ؛ ونفوس العرب تزاد منه تعجباً وله إعجاباً وبه تأثراً، فهو -أي القرآن- لم يكن برهان نبوةٍ فحسب؛ بل كان منهج حياة، ومصدر تشريع وإلهام، خاصة عند العرب الأوائل الذين كان لهم حظٌّ وافٍ من العلم باللسان الذي إختصهم الله به، وهكذا كلما وفّر نصيب المرء من هذا العلم ازداد بهذا القرآن إعجاباً وتأثراً وازداد له فيها وتدبراً، ولذلك ذهب العلماء يلتمسون منه مواضع الإعجاز، فألفوا في هذا الكتب تتلوا الكتب، كل حسب ما فتح الله له في هذا الباب، ولكثرة مواد إعجازه فقد اختلف العلماء رحمهم الله في طرائق التصنيف، ولعل أكثرها توفيقاً ما كان مركزاً على حقيقة الإعجاز ومادته الخام، ألا وهو الإعجاز اللغوي، وكان من أحسن من ألف فيه، حجّة الأدب ورافع راية القرآن «مصطفى صادق الرافعي»⁽¹⁾، ضمن كتابه «تاريخ آداب العرب» الذي أفرد الجزء الثاني منه لبيان إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية.

فرأينا أن نقوم بقراءة ولو سريعة لهذا الكتاب حتى نعرف أهم ما ضمنه صاحبه، فقدمنا لك هذه الكلمات.

جاء كتاب الرافعي في جزأين على الحقيقة، الأول في إعجاز القرآن الكريم، والثاني في البلاغة النبوية؛ لذلك فإن العنوان الكامل للكتاب هو «إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية»⁽⁴⁾، وهو كتاب من الحجم المتوسط، صنفه صاحبه كجزء ثانٍ لكتابه «تاريخ آداب العرب»⁽⁵⁾،

تناول فيه جوانب عديدة تخص القرآن الكريم، لا تُعدُّ كلها من صميم الإعجاز، ولكنها تقدم موضوعاً خدمةً جليّةً، فقد استهلَّ بالحديث عن القرآن الكريم، وجمعه، ثم تحدث عن القراءات ووجوهها، ولغة القرآن، ومعنى أحرفه السبعة؛ وكما هو معلوم، فإنَّ هذه المباحث كلها تندرج ضمنَ علوم القرآن... ثم إنتقل بعد ذلك إلى الحديث

عن إعجاز القرآن الكريم في مفرداته وتراكيبه وأصواته، وما إلى ذلك مما سيأتي بيانه. كما تعرَّض لقضية التحدي والمعارضة، وقضية بلاغة القرآن الكريم، وما صُنِّف فيها طيلة ثلاثة عشر قرناً.

• وجوه إعجاز القرآن الكريم عند الرافعي

يرى الرافعي أن القرآن الكريم قد أثَّر في اللغة العربية تأثيراً ليس له نظير، حتى إنَّ القائل ليقول إنها لغة جديدة، فقد ظهر إعجازه فيها بحيث جعلها مناسبة لكل زمان ومكان، وسبب ذلك أنه جعلها ملائمة مسيرة لهذا الكون في كل مظاهر الحياة، وهذبها من كل ما كان يشوبها، يقول -رحمه الله-: «نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنها يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنها كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجزاها في ظاهرها على بواطن أسرارها»⁽⁶⁾.

عنها عيوب العصبية، ونحى عنها أدران الجفاء، وكساها جبة قشبية زينتها الوقار، ووشىها الجمال، حتى ليخيل للسامع أنها لغة جديدة، ليست اللغة التي يعرفونها، «قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود؛ لأنها هي لغتهم التي يعرفونها، ولكن في جزالة لم يمضغ

99 ورغم تعدد لغات العرب في الجاهلية واختصاص كل قبيلة بلغتها، وحرصهم على إبرازها أمام بعضهم البعض، إلا أن القرآن قد أنساهم كل ذلك، وجعلهم يتوجهون إلى لغة القرآن الكريم، في انبهار تام ناسين ما كانوا عليه من تعصب للغاتهم...

66

لها شيخ ولا قيصوم، ورقة غير ما انتهى إليهم من أمر الحاضرة»⁽⁷⁾. فلم تعد هذه اللغة، بعد نزول القرآن، عنوان بداوة جافية، ولا رمز عصبية قاسية، ولا دليل طبيعة على قوم مخصوصين، بل صارت تلائم كل طبع سليم، وتشدوا بكل عاقل حلیم، وتصدق على أهل البادية كما تصدق على أهل الحاضرة، شاملة عامة لكل أنماط الحياة، وكل صنوف الناس، وما ذلك إلا من القرآن.

ورغم تعدد لغات العرب في الجاهلية واختصاص كل قبيلة بلغتها، وحرصهم على إبرازها أمام بعضهم البعض، إلا أن القرآن قد أنساهم كل ذلك، وجعلهم يتوجهون إلى لغة القرآن الكريم، في انبهار تام ناسين ما كانوا عليه من تعصب للغاتهم، فالقرآن قد جمع العرب على لغة واحدة هي أرقى من جميع ما عرفوه من قبل؛ وقد بين الرافعي هذا بقوله: «ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن قد جمع أولئك العرب على لغة واحدة، بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغباً، إذ يرونها كما لا لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية، مما وقفوا على حد الرغبة فيه من مذهبها دون أن يقفوا على سبيل القدرة عليه»⁽⁸⁾.

• القرآن والعلوم

لما كان هذا القرآن الكريم إلهي المصدر، فإن عجائبه

لم يأت القرآن الكريم بلغة جديدة، فاللغة هي اللغة، والمفردات هي المفردات، ولكنه ألبسها ثوباً جديداً، ستر

لا تنقضي، ومعجزاته لا تنتهي، فظهرت في نظمته تارة وفي شرائعه وأحكامه تارة وفي معجزاته العلمية تارة أخرى وهكذا... فمن الأشياء المهمة التي كان الرافعي من السباقين إليها هو تطرقه للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فهو يراه سبباً أولاً في النهضة العلمية التي عرفها العرب، يقول: «فإنما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها، وإطلاق العقل فيها شاء أن يرتفع منها، وأخذ على ذلك بالبحث والنظر والاستدلال والاستنباط، وتوفير مادة الرؤية عليه بما كان سبباً في طلب العلم للعمل، ومزاولة هذا لذلك، إلى صفات أخرى ليس هذا موضع بسطها»⁽⁹⁾.

فالقرآن قد حفظ للبشرية حضارتها، بما لعبه من دور في نقل العلوم من جيل إلى جيل آخر، ومن أمة إلى أمة أخرى، وبما لعبه من دور في تهذيب هذه العلوم وتنقيتها مما كان يمكن أن يعطل حضارة البشرية، أو يؤخر منها، كبعض ترهات اليونان والفرس، فلم يبق من العلوم إلا ما يخدم الحضارة الانسانية، ويدفعها إلى الأمام، وبما لعبه من دور في دفع نفوس أتباعه إلى البحث والتفكير وهجر حياة الجمود والفراغ.

• حقيقة الإعجاز عند الرافعي

رغم تعدد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ورغم ذكر الرافعي لكل هذه الوجوه، إلا أنه يرى أن حقيقة الإعجاز متركزة في جانب معين، وإنما بقية الجوانب مكملات، فهو يعتبر - أي الرافعي - هذا المبحث أهم عناصر الإعجاز، بل يعتبره غاية الكتاب، وحقيقة الإعجاز، يقول: «وهذا هو الغرض الذي أردنا إليه الكلام في كل ما مر من هذا الباب جهة إلى جهة، وأرغنا معانيه فصلاً إلى فصل، وحُضنا في ضروبه معنى إلى معنى، وقد وقَّفتك منه على وجوه عدة، من سر كان مكتوماً، وخبء كان مجهولاً، ومقطع من الحق كان مشتبهاً، وكلها خارج عن طوق الإنسان عندما يتعاطى وعندما يتوهم وعندما يثبت، وكلها لم يشهده الزمن إلا مرة واحدة»⁽¹⁰⁾.

ثم يردف هذا مبيناً حقيقة الإعجاز: «أما الذي

عندنا في وجه إعجاز القرآن، وما حققناه بعد البحث، وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وإنضاج الروية.... نقول: إن الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا، أن القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة؛ وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية،...

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني؛ ومعجز كذلك في حقائقه؛ وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء؛ فهي باقية ما بقيت، وقد أشرنا إليها في بعض الفصول المتقدمة؛ على أنها ليست من غرضنا في هذا الباب وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي. لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب دون جهة التأويل والتفسير»⁽¹¹⁾.

إذن الإعجاز الحقيقي كائن في جهة معينة هي جهة الكلام نفسه، ولا غرابة فالقرآن كلام، والعرب أهل لسان، والمعجزة تأتي عادة من جنس ما يحسنه من قُصِدَ إعجازه، أو بالأحرى من جنس ما يختص فيه من قُصِدَ إعجازه، بل من عجيب الأمر أن هذا القرآن نزل في زمن قد بلغ فيه أهله ذروة الفصاحة وقمة البلاغة، كما نزل في أناس تميزوا بين قومهم بالسبق في هذا الميدان، فقريش لم تكن تداينها قبيلة في فصاحة ولا بلاغة، بل كانت تعقد في منصات أسواقها مفاخرات الشعراء، وملاسنات الخطباء، فأراد الله عز وجل أن يظهر عجزهم مع هذا كله وفي كل هذا.

وعلى هذا الأساس فقد تحدى الله ﷻ العرب في أن يأتوا بمثل القرآن فصاحة وبلاغة، حتى أعجزهم عن ذلك وأقروا بعدم قدرتهم على مجارات أمر لا قبل لهم به، وإن كانوا من قبل يعتقدون أنهم هم أرباب هذه الصنعة وفرسان هذا الميدان، يقول الرافعي: «فتحداهم القرآن في آيات كثيرة أن يأتوا بمثله أو بعضه، وسلك إلى ذلك طريقاً كأنها قضية من قضايا المنطق التاريخي، فإن حكمة هذا التحدي وذكره في القرآن، إنها هي أن يشهد التاريخ في

كل عصر يعجز العرب عنه وهم الخطباء اللد والفصحاء اللسن، وهم كانوا في العهد الذي لم يكن للغتهم خير منه ولا خير منهم في الطبع والقوة، فكانوا مَظَنَّةَ المعارضة والقدرة عليها...»⁽¹²⁾.

وإمعانا في المعارضة فقد كان التحدي على مراحل، وكان القرآن أراد من العرب أن يقرأوا بهذا العجز صاغرة نفوسهم، المرة تلو المرة، فكلما عجزوا عن مرحلة إلا وزادهم فوقها درجة فبدأ بتحديهم في أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزوا طالبهم بأن يأتوا بعشر سور مفتريات، فلما عجزوا رفع التحدي إلى أعلى مراتبه، فطالبهم بأن يأتوا بسورة واحدة، فاستمر العجز ولجؤوا بعدها إلى ما لجؤوا إليه من التهم والشتم وغيرها....

• أسلوب القرآن الكريم

يرى الرافعي أن الأسلوب هو مادة الفخر في كلام العرب، وعلى ذلك فمن البديهي أن يأتي القرآن بأسلوب أرقى وأعلى من أسلوبهم، حتى يتحقق معنى الإعجاز على حقيقته يقول الرافعي: «لما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق. ليس في ذلك إعنات ولا معاية، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملة - ما أذهلهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود؛ حتى أحسوا بضعف الفطرة القوية، وتحلف الملكة المستحكمة؛ ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه، وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم، وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب أو اعتراض مساعه إلى هذه النفس، إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم واطلع على قلوبهم...»⁽¹³⁾.

نعم، لقد كان القرآن الكريم على هذا النحو أو فوقه، بما جاء به من أسلوب أرقى بكثير مما ألف العرب من كلام بلغائهم وفصحائهم، ومرد ذلك كما يرى الرافعي إلى أن الأسلوب مترجم لنفسية صاحبه، فما اختلاف الأساليب إلا ضرب من اختلاف النفسيات،

فأنت تجد الكاتب قد عكف على كلام كاتب آخر ما ترك له حرفاً إلا وقد حلله وعرضه على النظريات النقدية محاولاً تفسيره وتخرجه، وقد يكون على درجة كبيرة من الإعجاب به، وقد يكون صاحب الكلام من أساتذته ومعلميه، ومع ذلك إذا حاول أن يجاريه في أسلوبه وجدت بين الرجلين من البون والفرق الشيء الكثير، وما ذلك إلا لأن بين النفسيتين اختلافاً كبيراً، ولما كان القرآن الكريم منزهاً عن هذه الطباع البشرية، كان أسلوبه خارجاً عن ضروب أساليب البشر، وفي هذا يقول الرافعي: «...وأكبر السبب في ذلك أن هذا القرآن الكريم ليس عن طبع إنساني محدود بأحوال نفسية لا يجاوزها»⁽¹⁴⁾.

ولعل هذا الأمر محل اتفاق بين الكثير من الدارسين للأدب البلاغة خاصة من المعاصرين حتى قيل حديثاً إن الأسلوب هو بمثابة بصمة الأصبع، ولذلك استحال على العرب، بل ويستحيل على البشرية أن تأتي بمثل هذا القرآن لأنه ليس من قبيل أساليبها النابعة من نفسياتها.

• نظم القرآن

لما كان الكلام ينتظم من ثلاثة: حرف وكلمة وجملة، كان لا بد أن يظهر إعجاز القرآن الكريم في كل قسم من هذه الأقسام، وظهور الإعجاز في هذه الثلاثة مجتمعة وفي آن واحد هو ما جعل علماء العرب يركزون على قضية النظم، واعتبروها من أظهر وجوه الإعجاز، وقد تطرق إليها الرافعي، وتناولها بما يخص القرآن الكريم دون غيره من كلام البلغاء، ومع ذلك يذهب الرافعي في قضية النظم مذهب كبار البلاغيين أمثال الجرجاني، والباقلاني وهو يرى أن نظم القرآن مخالف لنظم كل كلام، وبلاغته أرقى من كل بلاغة يقول: «ومن أظهر الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن، وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء، أن نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاءً طبعياً بحيث يُبنى هو عليها لأنها في أصل تركيبه...»⁽¹⁵⁾.

وقد ابتدأ الرافعي قضية نظم القرآن بالحديث عن الحرف والصوت، فأظهر ما للحرف من إعجاز في صوته ومخرجه، وكل حرف في القرآن الكريم اختير له الموضع

الذي لا يصلح له إلا ذلك الحرف، يقول: «فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً»⁽¹⁶⁾.

ولذلك كان من معجزة القرآن أنه يسترق العقول

ويأسر القلوب بما يقذفه من جرس في الأذان، وبما يلقيه من حلاوة على السامع، فتطرب النفس عند سماعه في خشوع ورهبة، فلا هي تستكره منه حرفاً، ولا هي تستهجن منه وقعاً، ولا تستطيع إلا أن تستسلم له وتسترسل في سماعه، يقول الرافعي: «فجعلت السامع لا تنبوع شيء من القرآن، ولا

تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه يد من الاسترسال إليه والتوفر على الاصغاء، لا يستمله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنسه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة؛ فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مَقْطَعاً مَقْطَعاً ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة»⁽¹⁷⁾.

ثم لا شك أن الله علم أن هذه النفس - وهو خالقها - تنفر مما يكدر صفوها وتنجذب نحو ما يؤنسها فجاء القرآن الكريم على ذلك، ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن قد راعى قضية الصوت مراعاة كبيرة، ولذلك تجده يستعمل الحرف على ما يقتضيه موضوع الآية، وبالجملة فإن نظم القرآن على مستوى الصوت جاء غاية في الاحكام يقول بعد كلامه السابق: «فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملته، ألحاناً لغوية رائعة؛ كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقعها فلم يفهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قيل لهم به، وكان ذلك أيّين في عجزهم»⁽¹⁸⁾.

• الكلمات وحروفها

كان للكلمة نصيبها من الإعجاز في القرآن الكريم

إذ لا يتأتى النظم إلا بها، وموقعها من النظم موقع خطير، ذلك أن الكلمة لها تأثير كبير في النفس الانسانية، وهذا أمر ملاحظ لا حاجة إلى التدليل عليه، فكان من بلاغة القرآن الكريم أن اختار لكل معنى كلمة هي أحسن كلمة تؤدي ذلك المعنى، لا تقوم كلمة أخرى مقامها ولو كانت من مرادفات أو قريبة منها، وعلى هذا الشأن جاء القرآن كله، يقول الرافعي: «فلا بد في مثل نظم

” كان من معجزة القرآن أنه يسترق العقول ويأسر القلوب بما يقذفه من جرس في الأذان.... فلا هي تستكره منه حرفاً، ولا هي تستهجن منه وقعاً، ولا تستطيع إلا أن تستسلم له... “

القرآن من إخطار معاني الجمل وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللغة، بحيث لا تبتدأ لفظة، ولا تتخلف كلمة؛ ثم استعمال أمسها رحماً بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء، وأكثرها غناء، وأصفها رونقاً وماء، ثم اطراد ذلك في جملة القرآن على اتساعه وما تضمن من أنواع الدلالة ووجوه التأويل...»⁽¹⁹⁾.

ثم إن هذا الضرب من الإعجاز لم يقف عند هذا الحد بل تعداه حتى صارت اللغة كأنها غير اللغة، بل صارت اللغة أعلى وأرقى مما هي عليه، وما ذلك إلا بطريقة الاستعمال وحسن الاختيار، وموافقة اللفظ للمعنى، وموافقة للصوت الصرفي، ثم موافقة الكلمة لما يجاورها، لا في المعنى حسب، بل في المعنى وفي النظم الموسيقي، ويضرب لذلك الرافعي مثالا لا بأس أن نورده بحرفه على طوله يقول: «من ذلك لفظة (النذر) جمع نذير؛ فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن جساءة هذا الحرف وبُؤه في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام. فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه؛ ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتقى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ (36).

فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف وأجر حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد)، وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيها وراء الطاء إلى واو (تماروا)، مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لحفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة

ليس باب الجمل والتراكيب بأقل شأنًا من سابقه في أهمية النظم القرآني ولا في درجة القوة البلاغية، ولذلك ثلث به الكاتب فيبين أن القرآن الكريم قد أتى على نسق في التركيب غاية في الابداع والحسن.

إن نظام التراكيب الذي جاء به القرآن الكريم يختلف كل الاختلاف عما عهده العرب من نظام، رغم أن اللفظ واحد، ولكن مكنم الإعجاز هو ذلك التركيب البديع يقول الرافعي: «أما ألفاظ هذا الكتاب الكريم، فهي كيفما أدرتها وكيفما تأملتُها وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردِها ومن أي جهة وافقتها؛ فإنك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والانسجام العذب»⁽²²⁾.

وإن التناسق الكبير في تركيب الجمل واحد من مظاهر هذا الإعجاز، وليس هذا التناسق مقصوراً على جزء من القرآن دون غيره، بل هو السمة البارزة لكل آي القرآن من أوله إلى آخره، يقول الرافعي: «فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام»⁽²³⁾.

ثم إن القرآن الكريم قد جاء على وضع لم تألف العرب وضعاً مماثلاً له، لا من حيث حسن التأليف ولا من حيث الدلالة على المعاني المرادة في أحسن صورة.

على أن هذه الألفاظ هي نفس الألفاظ التي كان يعرفها الناس، بيد أن تركيبها في القرآن يجعلها متميزة عن غيرها من الكلام، حتى إن كثيراً منها قد سار مسيرة المثل، فكان القرآن بهذا مصدر الاقتباس، ومنه يؤخذ التمثيل والاستعارة وسائر ألوان البلاغة، حتى كان السبب في ظهور علم البلاغة كما يرى ويصرح به الرافعي.

عليه مستحفاً بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحاس في الأطعمة. ثم ردد نظرك في الرأ من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لرأ (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تحف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)»⁽²⁰⁾.

ومن وجوه الإعجاز في هذا الباب، أنك لا تجد في القرآن حشواً ولو بحرف واحد، فضلاً عن كلمة، وقد نبه الرافعي إلى ذلك تحذيراً مما قد يتبادر إلى الذهن من اصطلاحات بعض النحويين قال: «ثم الكلمات التي يُظن أنها زائدة في القرآن كما يقول النحاة، فإن فيه من ذلك أحرفاً: كقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ﴾. وقوله: ﴿قَلَمًا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ فإن النحاة يقولون إن «ما» في الآية الأولى و«أن» في الثانية، زائدتان، أي في الإعراب. فيظن من لا بصير له أنهما كذلك في النظم وقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لوناً من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية الأولى، تصوير لئن النبي ﷺ لقومه، وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في «ما» وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين

الباء الجارة ومجرورها (وهو لفظ رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى.

والمراد بالثانية تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعدهما كان بين يوسف وأبيه عليها السلام وأن ذلك كأنه كان منتظراً بقلق

واضطراب تؤكدهما وتصف الطرب لمقدمه واستقراره، غنة هذه النون في الكلمة الفاصلة؛ وهي «أن» في قوله: ﴿أَنْ جَاءَ﴾⁽²¹⁾. وحسبنا في هذا الباب ما ذكرنا والله الموفق.

«فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام، كأنها تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها...» 66

للناس منه لاستحقاق أن يمجَّ إليه، ولو عُكف على غير كتاب الله في نواشئ الأسحار لكان جديرًا بأن يُعكف عليه. ولا عيب فيه غير أنَّ حديثاً وأنَّ لتقديم حرمة، ولا غناؤاً عنه كتب الماضين في المائة ولكن التقدم في العصر عند أهل الأدب ذمٌّ»^(١).

(*) «رسائل الرافعي». الرسالة 100. ص 135. طبعة الدار العمرية

(6) «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية». مصطفى صادق الرافعي. [ص 55]. دار الكتاب العربي.

(7) المصدر السابق. [ص 55]

(8) المصدر السابق. [ص 57]

(9) المصدر السابق. [ص 81]

(10) المصدر السابق. [ص 98]

(11) المصدر السابق. [ص 109]

(12) المصدر السابق. [ص 118-117]

(13) المصدر السابق. [ص 131]

(14) المصدر السابق. [ص 144]

(15) المصدر السابق. [ص 145]

(16) المصدر السابق. [ص 146]

(17) المصدر السابق. [ص 147]

(18) المصدر السابق. [ص 148]

(19) المصدر السابق. [ص 156]

(20) المصدر السابق. [ص 157]

(21) المصدر السابق. [ص 159]

(22) المصدر السابق. [ص 166]

(23) المصدر السابق. [ص 166]

هذا ملخص ما ذكره الرافعي رحمه الله في إعجاز النظم القرآني في مستوياته الثلاثة، مستوى الحرف ومستوى الكلمة ومستوى الجملة، وهذا ملخص ما ذكره جملة حول إعجاز القرآن الكريم.

• خاتمة

يعتبر كتاب الرافعي «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» كتاباً شاملاً لكل أنواع الإعجاز، مع قوة أسلوبه، ورصانة لغته، فهو يسوق لك كلام الأولين بطريقة المعاصرين، ويسوق لك طريقة المتأخرين بأسلوب الأولين.

وقد أبدع في كتابه هذا أيما إبداع، وأحسن تقسيمه، وتبويبه، وأفاض فيه واستفاض، وجمع فيه أغلب ما قال العلماء قبله، وما هذه إلا نظرة سريعة في هذا الكتاب الذي ننصحك بقراءته.

على أننا سنرجع بإذن الله ﷻ إلى مسألة الإعجاز القرآني والبلاغة القرآنية فيما يستقبل من أيام الله - إذ باب الإعجاز لا يدرس في عجالة - حتى نقف على بعض كنوز هذه اللغة العجيبة، وما أودعه الله ﷻ في كتابه من جواهرها الثمينة والله ولي التوفيق.

(1) مصطفى صادق الرافعي (1881-1937م): عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتّاب. له ديوان شعر (3 أجزاء)، وكتاب «تاريخ آداب العرب» (3 أجزاء)، و«ثمت راية القرآن» رد فيه على مقالات للدكتور طه حسين، و«وحي القلم» (3 أجزاء)، وغيرها من المؤلفات.

(2) يقول العلامة الأديب «محمد محمد شاكر» رافعا الحجاب عن لفظة الإعجاز: «(إعجاز القرآن)، لفظٌ وُضِعَ في أواخر القرن الثالث للهجرة، ولم يكد حتى أحدث تاريخاً مُستفيضاً رائعاً، شارك فيه أكبر علماء الأمة، في اللغة والبيان والتفسير، وعلوم القرآن وعلم الكلام»^(*).

(*) «مداخل إعجاز القرآن». محمود محمد شاكر. [ص 8]. طبعة المدني.

(3) «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية». مصطفى صادق الرافعي. [ص 98]. دار الكتاب العربي.

(4) طُبِعَ الكتابُ على حدى سنة 1927م، حيثُ تكفَّلَ الملك فؤاد بتفقات الطباعة. [راجع «رسائل الرافعي». الرسالة 100. ص 135. طبعة الدار العمرية].

(5) كتب أمير البيان «شكيب أرسلان» عن كتاب الرافعي في صدر جريدة «المؤيد»: «... فلو كان هذا الكتابُ خطاً محبوباً في بيت حرام إخراجه

A decorative graphic element featuring a blue and yellow geometric pattern, possibly a stylized letter or a floral motif, set against a background of a repeating geometric pattern in shades of blue and yellow.

